

بسم الله الرحمن الرحيم

مورد الظمان

في

علوم القرآن

تأليف

الشيخ صابر حسن محمد أبو سليمان

مدرس علوم القرآن بثانوية تحفيظ القرآن بالرياض

الناشر

الدار السلفية

١٣ - محمد علي بلنك ، يندى بازار بومباي ٣ [الهند]

سلسلة مطبوعات الدار السلفية رقم ٦٠

حقوق الطبع محفوظة للدار السلفية بومباي



الطبعة الأولى

١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م

AL - DARUSSALAFIAH
13, Mohammed Ali Building,
Bhindi Bazar, BOMBAY - 400 003
(INDIA)

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .
والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله أفضل رسل الله وصحبه وأزواجه
وذريته وعلى كل من والاه . وبعد !

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خيركم من تعلم القرآن
وعليه ، وقد أنجز الله سبحانه وتعالى ما وعد به رسوله المصطفى من قوله
: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ،

فقد وفق الله سبحانه وتعالى في كل زمان ومكان من ارتضى من
عباده لخدمة القرآن الكريم فقاموا وخدموا القرآن خدمات عظيمة ، فمنهم
من حفظه وأتقن حفظه فهو يتلوه آناه الليل وآناه النهار ، ومنهم من فسر
وشرح غوامضه وكشف أسرار ، ومنهم من صنف في بيان اللهجات
والقرامات ، ومنهم من بحث عن إعرابه وتركيبه العجيب ، ومنهم من بحث
عن الناحية البلاغية والصناعية في القرآن ، ومنهم من استنبط الأحكام
والفنون والعلوم منه ، ومنهم من صنف في علومه المتنوعة .

وكل واحد حرص أن يكون بمن بشر له الرسول الكريم صلوات
الله وسلامه عليه ، خيركم من تعلم القرآن وعليه ، فقام بما تيسر له من
الخدمة لكتاب الله .

وإن الامام السيوطى رحمه الله وضع كتابه الجامع فى علوم القرآن المسمى « بالاتقان » فكل من جاء بعده استفاد منه وإن كتابه من أحسن الكتب المؤلفة فى علوم القرآن وإن كان بحاجة إلى تخرج بعض الأحاديث وبيان درجته من الصحة والسقم . ومن أدلى دلوه فى خدمة الكتاب المكنون أخونا الفاضل الشيخ المقرئ صابر حسن محمد أبو سليمان وفقه الله مدرس علوم القرآن بثانوية تحفيظ القرآن بالرياض .

فجمع فى كتابه المسمى بمورد الظمان فى بيان علوم القرآن كل ما رآه نافعا وضروريا لطلبة وحلة القرآن وقد اتقى هذه البحوث من كتب جمة مؤلفة فى علوم القرآن وحاول إيصال الطلاب إلى معرفة علوم القرآن بطريقة سهلة ، جزاء الله خيرا .

وإن المدار السلفية قد تعزز بطبع هذا الكتاب ونشره للاستفادة وهذا هو الكتاب الثانى فى علوم القرآن المطبوع من المدار السلفية وقد سبق أن نشرت المدار « كتاب التبصرة فى القراءات السبع لمسكى بن أبى طالب » وقد أنشئت هذه المدار نشر الكتب النافعة للطلبة وأهل العلم وهى تحرص كل الحرص على طبع كتب سلفنا الصالح رحمهم الله وتعاون مع الراغبين فى طبع الكتب النافعة .

والله نسأل أن يوفقنا لما يحب ويرضى ويجعل آخرتنا خيرا من الأولى .
وصلى الله وسلم وبارك على محمد وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين ؟

مختار أحمد الندوى

٢١ جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ

مدير المدار السلفية بومباي

١٩٨٤ م

٢٢ مارس

بسم الله الرحمن الرحيم

(المقدمة)

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله .
وأصلى وأسلم على صفوة الخلق نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد !

فلما كانت حاجة أبنائنا طلاب الصف الاول الثانوى بمدرسة تحفيظ القرآن الكريم الثانوية ماسة الى تأليف كتاب فى - علوم القرآن يتناسب مع مداركهم ومستواهم الثقافى .

دفعنى ذلك الى تأليف كتابى هذا المسمى [الرائد فى علوم القرآن] حسب المنهج الذى أقرته وزارة المعارف مراعى فيه وضوح العبارة وسبك اللفظ وجودة المعانى . عسى الله أن ينفع به أبنائنا طلاب القسم الثانوى وكل من نظر فيه بعين الانصاف والتقدير والله أسأل أن يثيبنى عليه وأن يتقبله منى عملا خالصا لوجهه الكريم وان يغفرلى ولوالدى ولشائخى ولأصحاب الحقوق على . انه على ما يشاء تقدير وبالإجابة جدير ونعم المولى ونعم النصير غفرانك ربنا واليك المصير .

« علوم القرآن »

هذا اللفظ مركب إضافي وله جزآن : مضاف وهو « علوم »
ومضاف إليه وهو « القرآن » .

وله معنيان : معنى باعتباره مركبا إضافيا . ومعنى باعتباره علما .
أما المعنى الأول فيراد بكلمة علوم - وهو المضاف - كل علم يخدم
القرآن الكريم ، ويتصل به ، ويستند إليه ، وينتظم ذلك .

علم التفسير ، وعلم أسباب النزول ، وعلم إعجاز القرآن وعلم
الناسخ والمنسوخ ، وعلم إعراب القرآن ، وعلم القراءات ، وعلم عد الآي
وفواصلها ، وعلم الرسم العثماني ، وعلم الدين من فقه وتوحيد وغيرها
وعلم العربية من نحو وبلاغة وسواهما .

ويراد بكلمة « القرآن » وهو المضاف إليه - الكتاب المقدس المنزل
على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وأما المعنى الثاني فيراد به أن لفظ « علوم القرآن » قتل من هذا
المعنى الإضافي وجعل علما على الفن المدون ، وأصبح مدلوله علما غير
مدلوله مركبا إضافيا .

ويمكن تعريفه علماً بأنه المباحث المتعلقة بالقرآن من ناحية مبدأ نزوله وكيفية هذا النزول ومكانه ومدته ، ومن ناحية جمعه وكتابته في العصر النبوي وعهدى أبي بكر وعمر ، ومن ناحية إعجازه ؛ وناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وأقسامه وأمثاله .

ومن ناحية ترتيب سورة وآياته ، وترتيبه وأدائه إلى غير ذلك من النواحي .

وموضوع هذا العلم « القرآن الكريم » ، من النواحي المذكورة .
ولمعرفة هذا العلم فوائد عديدة نجمل أهمها فيما يلي :

الفائدة الأولى : إنه يساعد على فهم القرآن ، واستنباط الأحكام والآداب منه ويعرف الدارس له مبدأ نزوله ، وكيفية هذا النزول ومدته ، ويقف على نواحي إعجازه ، وعلى ناسخه ومنسوخه ، ومكيه ومدنيه ، ومحكمه ومتشابهه . وعلى ترتيب سورة وآياته ، وكيفية ترتيبه وأدائه إلى غير ذلك .

الفائدة الثانية : إن الدارس لهذا العلم يتسلح بسلاح قوى يمكنه من دحض مفتريات أعداء القرآن ، وتقنيد مزاعمهم ، وإبطال ترماتهم ؛ وغير خاف أن الدفاع عن القرآن الكريم من أوجب الواجبات على كل من يقدر عليه . ويحيد أساليبه وطرقه .

الفائدة الثالثة : إن الدارس لهذا العلم يكون ذا حظ كبير ، وقسط وفير من الثقافة القرآنية ، وما اشتمل عليه القرآن من علوم ومعارف مما

يكون له أحسن الأثر في إصلاح النفس ، وتربية الضمير ، وتهذيب الخلق .
والخلاصة : أن أبحاث هذا العلم الكثيرة القيمة يستعان بدراستها
على فهم الكتاب العزيز ، والوقوف على شريف أسرارهِ وكريم أهدافهِ ؟

المؤلف

صابر حسن محمد أبو سليمان

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« الوحي »

معنى الوحي في اللغة :

الاعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه اليه بحيث يخفى على غيره ،
ويدخل تحت ذلك أنواع عديدة من الاعلام منها :
الالهام الغريزي ، كالوحي الى النحل في قوله تعالى « وأوحى ربك
الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا و من الشجر وما يعرشون »^١ ،
الهام الخواطر ، بما يلقه الله في روع الانسان السليم الفطرة الطاهر الروح
كالوحي الى أم موسى في قوله تعالى « وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه »^٢ ،
وسوسة الشيطان وتزيينه خواطر الشر للانسان في قوله تعالى
« وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى
بعض زخرف القول غرورا »^٣ .

و وحي الله تبارك و تعالى الى أنبيائه قد روعي فيه المعنيان الاصليان

(١) سورة النحل رقم : ٦٨

(٢) سورة القصص رقم : ٦

(٣) سورة الانعام رقم : ١١٢

لهذه المادة : وهما الخلفاء والسريعة .

و معنى الوحي في الشرع تكليم الله سبحانه واحدا من عباده بطريقة

من طرق الوحي .

أنواعه هي :

[١] تنزيل الكتب السماوية بواسطة ملك الوحي .

[٢] القاء المعنى في قلب النبي أو نقشه في روعه .

[٣] تكليم النبي من وراء حجاب .

[٤] هي التي متى أطلقت انصرفت الى ما يفهم عادة من لفظة

« الإيحاء » ، وقد صرحت الآية الكريمة بثلاثة أنواع من الوحي قال تعالى

« وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا ؛ أو من وراء حجاب ، أو يرسل

رسولا فيوحى بأذنه ما يشاء انه على حكيم » ،

طرقه هي :

[١] أن يأتيه الملك في مثل صلصلة الجرس .

[٢] أن ينفث في روعه الكلام نقضا .

[٣] أن يأتي في صورة الرجل فيكلمه .

[٤] أن يأتيه الملك في النوم .

[٥] أن يكلمه الله اما في اليقظة أو في النوم .

وعلى هذا النمط رسم النبي الكريم فيما صح من حديثه طريقة نزول الوحي على قلبه ، فقال : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عني وقد وعيت ما قال ، ، و أحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأصى ما يقول ، ، .

فكشف النقاب صراحة عن صورتين من الوحي :

أحدهما : عن طريق القاء القول الثقيل على قلبه ، ولديه يسمع صوتا متعاقبا متداركا **كصوت الجرس المصاصل المجلجل** ، وفي مسند أحمد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، سألت النبي صلى الله عليه وسلم ، هل تحس بالوحي ؟ فقال أسمع **صلاصل** ثم اسكت وعند ذلك ، فما من مرة يوحى الى الا ظننت أن نفسى تقبض ، ، قال الخطابي : والمراد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يثبت أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد . وقيل هو صوت خفق أجنحة الملك والحكمة فى تقدمه أن يفرغ سمعه للوحى فلا يبقى فيه مكانا لغيره وفى الصحيح أن هذه الحالة أشد حالات الوحي عليه وقيل انه انما كان ينزل هكذا اذا نزلت آية وعيد أو تهديد .

والثانية : عن طريق تمثيل جبريل له بصورة انسان يشاكلة فى المظهر ولا ينافره ، ويطمئنه بالقول ولا يرعبه ، وما من شك فى أن الصورة الاولى أشد وطأً وأثقل قولاً ، كما قال الله تعالى . انا سئلق عليك قولاً

ثقيلاً ، حتى كان يصحب الوحي فيها رشح الجبين عرقاً ، كما قالت السيدة عائشة أم المؤمنين ، ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، و ان جبينه لينفصد عرقاً ، .

بل كانت وطأة الوحي في هذه الصورة تبلغ أحياناً من الشدة والثقل حداً يجعله راحلته تبرك به الى الارض اذا كان راكبها ولقد جاءه مرة كذلك وينغذه على نخذ زيد بن ثابت ، فثقلت عليه حتى كادت ترضها ، .

أما الصورة الثانية فهي اخف وطأً والطف وقماً ، فلا أصوات تجلجل ، ولا جبين يرشح ، بل تشابه شكله بين الملقى والمتلقى ، ييسر الامر في الوقت نفسه على ناقل الوحي الامين وعلى النبي الكريم .

وفي كلتا صورتين يحرص النبي صلوات الله عليه على وعى ما أوحى اليه اذ قال في المرة الاولى : فيفصم عني وقد وعيت ما قال ، وفي الثانية : فيكلمني فأعنى ما يقول ، فاثبت لنفسه الوعي الكامل لحالته قبل الوحي ، وحالته بعد الوحي ، وحالته أثناء الوحي سواء أخفت وطأة النازل القرآني عليه ، أم إشتدت وبهذا الوعي الكامل لم يخط عليه السلام مرة واحدة - طيلة العصر القرآني الذي يضم كل مراحل التنزيل - بين شخصيته الانسانية المأمورة المتلقية وشخصية الوحي الآمرة المتعالية ، فهو واع أنه انسان ضعيف بين يدي الله يخشى أن يحول الله بينه وبين قلبه ، ويتنهل الى ربه في دعائه

المأثور : الله يا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك ؛ اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، بل كان أول عهده بنزول الوحي - مخافة ضياع بعض الآيات من صدره يعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليه وحيه ، ويحرك به لسانه وشفقيه ليستذكره ولا ينساه ، ويحرص على متابعة جبريل في كل حرف يدارسه إياه حتى يسر الله عليه حفظه بتفريقه وتنجيته ؛ وأمره بالاطمئنان الى وعده فقال سبحانه ، لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه ونهاه عن هذه العجلة التي لا مبرر لها فقال جل شأنه : « ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه ، وقل رب زدني علما » .

و من يتل الآيات القرآنية التي تصور رسول الله انسانا ضعيفا بين يدي الله ، يستمد منه العون ، ويستهديه ويستغفره ، ويصدق بما يأمر به وأحيانا يتلقى العتاب الشديد يحد في أعماق قلبه من الفيض الوجداني ما يحمله على الاقتناع بالفرق الذي لا يتناهى بين صفة الخالق وصفة المخلوق .

ان صورة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن هي صورة العبد المطيع ، الذي يخاف عذاب ربه ان عصاه ، لذا يلتزم حدوده ، ويرجو رحمته ، ويعترف بعجزه المطلق عن تبديل حرف من كتاب الله ، قال تعالى :

(١) سورة القيامة رقم : ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩

(٢) سورة طه رقم : ١١٤

و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاى نفسى ان أتبع الا ما يوحى الى انى أخاف ان عصيت ربه عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدريكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون ، .

الى غير ذلك من النصوص القرآنية التى تصور محمدا صلى الله عليه وسلم بأنه لا دخل له فى الوحى ، فلا يصوغه بلفظه ؛ ولا يلقيه بكلامه وإنما يلقى اليه الخطاب القاء ، فهو مخاطب لا متكلم ؛ حاك ما يسمعه ، لا معبر عن شىء يحول فى خاطره .

وقد نهى عليه السلام أول العهد بنزول الوحى عن تدوين شىء سوى القرآن^٢ لئلى يحفظ للقرآن صفته الربانية ، ويحول دون اختلاطه بشىء ليست له هذه الصفة القدسية ؛ بينما كان عند نزول الوحى - ولو آية أو بعض آية - يدعوا أحد الكتبة فوراً ليدون ما نزل من القرآن .

فها هو ذا النبى عليه السلام مقتنعا - من خلال ما سبق بان التنزيل القرآنى مصحوب بانمحاء ارادته الشخصية ، وانسلاخه من الطليعة البشرية

(١) سورة يونس رقم : ١٥ ، ١٦

(٢) فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تكتبوا عنى ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحاه ، وحدثوا عنى ولا حرج و من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار .

حتى ما بقي له عليه السلام اختيار فيما ينزل اليه أو يتقطع عنه ، فقد يتتابع الوحي ويحصى حتى يكثر عليه ، وقد يفتر عنه أحوج ما يكون اليه .

ثم ما هو ذا الوحي يتقطع عن النبي وهو أشد ما يكون اليه شوقا ، وله طلبا فبعد أن نزل عليه جبريل بأوائل سورة العلق « اقرأ باسم ربك الذى خلق » ، فتر الوحي ثلاث سنين ، فحزن النبي - كما قالت السيدة عائشة حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلتقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال : يا محمد أنت رسول الله حقا ، فيمكن لذلك جاشه وتقر نفسه ، وبينما هو ماش ذات يوم اذ سمع صوتا من السماء فرفع بصره ، فاذا الملك الذى جاءه بجرا فرعب منه فرجع الى زوجته الوفية خديجة يقول : زملونى فانزل الله « يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ، فخمى الوحي وتتابع واستبشر النبي وتبدل انتظاره الحزين فرحة غامرة ، وأيقن أن هذا الوحي الذى استعصى عليه ولم يوافه طوع ارادته مستقل عن ذاته خارج عن ارادته ، فاستقر فى ضميره الواعى أن مصدر هذا الوحي هو الله علام الغيوب .

وفى الصحيحين أن الوحي فاجأه وهو يقظ يلتمس الحقيقة ويبحث عن الله ، ولذلك رعب وجاء خديجة يرجف فؤاده . ولو وقع له هذا فى المنام كما ذهب اليه بعض المفسرين لزال خوفه ورعبه بعد اليقظة ، فلا مرم ما قال القرآن : « ما كذب الفؤاد ما رأى أقمرونه على ما يرى » .

بهذه الحساسية الواعية المرهفة صورت السيدة عائشة بدء الوحي فقالت :

« أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب اليه الخلاء . وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله يتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها - وصار على هذا المنوال - حتى جاءه الحق وفي رواية « فجاء الحق » - وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال : « اقرأ » ، قال : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذني فغطني - أى ضمني وحصرنى حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده ؛ فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروح ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر « لقد خشيت على نفسى » فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

ومن الجدير بالذكر أن رجفة فؤاده عليه السلام تشير الى الرعب الذى إعتراه لأن الوحي نزل عليه فجأة ولم يكن يتوقعه كما قال الله تعالى

وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك^١ ، وكما قال تعالى
« وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان
ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا^٢ » .

وان كنت قد أظنبت في تفسير ظاهرة الوحي لأنها توطئة بين يدي
هذه الدراسة القرآنية .

الخلاصة :

وخلاصة ما يمكن أن نذكره في ظاهرة الوحي ما يأتي :

- ١ - انها حالة غير اختيارية .
- ٢ - هي أمر عارض غير عادي .
- ٣ - وهي قوة خارجية : لأنها لا تقتصل بنفس النبي صلى الله عليه
وسلم الا حينئذ بعد حين .
- ٤ - وهي قوة عالة : لأنها توحى اليه علما .
- ٥ - وهي قوة خيرة معصومة : لأنها لا توحى الا بالحق ولا تأمر
الا بالرشد .

(١) سورة القصص رقم : ٨٦

(٢) سورة الشورى رقم : ٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

معرفة المكي والمدني

مكث النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة عمرا ما كان يدري فيه ما الكتاب ولا الايمان ، ثم اختاره الله لتبليغ رسالته ؛ فأوحى اليه روحا من أمره ، وجعل مبعثه كبعث الرسل الذين مضوا من قبله في سن الأربعين ليكون أنضج فكرا وأصدق عزمًا ، وأمضى ارادة وأقوى بأسا ، وأوسع تجربة ، وأثبت حنانا .

ان في وسعنا الآن - أن تتدرج مع التنزيل القرآني مرحلة مرحلة مطمئنين الى ما وافانا به سلفنا الصالح في وصف تلك المراحل ابتداء ووسطا وختامًا ، وفي تقصى النوازل القرآنية المنجمة على حسب المناسبات الفردية أو الاجتماعية ، وفي تحرى جمع القرآن وحفظه واستنساخه في المصاحف وتحسين رسمه ، وفي الاستيثاق من متواتر أحرفه السبعة ، وفي تتبع أسباب نزوله وما صح من وجوه الترابط بين آياته ، بما عرف عنهم من ورع بالغ ، وحاسة نقدية مرهفة تعنى بالتناسق الفنى .

حقائق التاريخ

وما لا يدع مجالا للشك - اذا وضعنا العلوم القرآنية موضع الموازنة -

فى أن العلم بالمكى والمدنى أحوجها الى تمحيص الروايات ، و تحقيق النصوص ، والتحاكم الى التاريخ الصحيح و هو - على كل حال - أحوج من هذا كله من أسباب النزول ، لأن العلم بتلك الاسباب يتناول ضروبا معينة من الجزئيات المتعلقة بالمناسبات الفردية والاجتماعية ولا يتناول شيئا من التفصيلات القرآنية الأخرى التى نزلت ابتداء غير مبنية على أسباب . أما علم المكى والمدنى فلا غنى له عن تناول القرآن كله سورا وآيات .

فكل سورة فيه إما مكية أو مدنية ، وقد تستثنى من السورة المكية آيات مدنية ، ومن السورة المدنية آيات مكية : كما أن كل آية فى القرآن معروفة ، الهوية ، واضحة السيرة فإذا اختلطت بغير زمريتها أخضعها العلماء الثقات لمقاييسهم النقدية الدقيقة حتى قطعوا أو كادوا يقطعون بانها تنتمى الى النوازل المكية أو المدنية .

كان العلم بالمكى والمدنى اذن جديرا بالعناية البالغة التى أحيط بها و خليقا أن يعد بحق منطلق العلماء لاستيفاء البحث .

فى مراحل الدعوة الاسلامية ، والتعرف على خطواتها الحكيمة المتدرجة مع الأحداث والظروف والتطلع الى مدى تجاوزها مع البيئة العربية فى مكة والمدينة ، وفى البادية والحاضرة والوقوف على أساليبها المختلفة فى مخاطبة المؤمنين والمشرىين و أهل الكتاب .

و وفاء هذا العلم بتلك المعارف الواسعة جعل بحوثه اشتاتا وألوانا

فهو في آن واحد ترتيب زماني ، وتحديد مكاني ، وتبويب موضوعي
وتعيين شخصي .

ويجبل الينا ان هذه الألوان المتباينة قد طافت بازمان العلماء حين
ترددوا في تقسيم المكي والمدني على أساس من المكان والزمان
او الأشخاص .

فن قال : المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة ، والمدني ما نزل بالمدينة
لاحظ المكان .

ومن قال : « المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل
المدينة راعي أشخاص المخاطبين ومن أثر الاخذ بالاصطلاح المشهور ،
المكي ما نزل قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة وان كان
نزوله بغير مكة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة وان كان نزوله بمكة عنى
بالترتيب الزمني في مراحل الدعوة الاسلامية ونحن اذا ناخذ بهذا التعريف
الآخر لا نكتفم الطالب ما نلحه من تحقيق عناصر الزمان والمكان والأشخاص
في الاصطلاحات الثلاثة على السواء بل نلح فيها أيضا عنصر رابعا لا يخفى
على ذي بصر : وهو عنصر الموضوع .

هذه سورة الممتحنة من أولها الى آخرها نزلت بالمدينة اذا لاحظنا

(١) وقد نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين دفع كتابه الى قريش =

المكان . وكان نزولها بعد الهجرة اذا اعتبرنا الزمان ، و وقعت خطابا لأهل مكة اذا أردنا الأشخاص ، واشتملت على توجيه اجتماعي محص قلوب المؤمنين اذا رغبنا بمعرفة موضوعها لذلك أدرجها العلماء في باب « ما نزل بالمدينة وحكمه مكي .

ومثل ذلك قوله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر و أنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

نزلت بمكة اذا التمسنا المكان ، ويوم الفتح بعد الهجرة ان تحريتنا الزمان والغاية منها الدعوة الى التعارف وتذكير الانسانية بوحدة أصلها ان عيننا الموضوع ، وهي - ان راعينا الأشخاص - خطاب لأهل مكة والمدينة على السواء ، فاسماء العلماء مكيا على الاطلاق ، ولا مدنيا على التعيين ، بل أدرجوه في باب « ما نزل بمكة وحكمه مدني .

على أننا لم نتردد في تفضيل التقسيم الزمني في المكي والمدني ، لأننا امام موضوع وثيق الصلة بالتاريخ ؛ فليس لنا أن نختار في مثله التبويب المكاني ما دمنا نرمي الى تحديد ما نزل بمكة أو المدينة ابتداء ووسطا وختاماً ، فان هذه الاطوار المتعاقبة تفرض أن يكون اختيار الترتيب الزمني أمراً

= يخبرها بمسير النبي الى مكة .

(١) سورة الحجرات رقم : ١٣

بديها لا مجال للتردد فيه . أما تعيين الأشخاص واستخراج الموضوعات
فأمران ثانويان .

بهذا المنهج التاريخي الزماني ، الذي لا يتجاهل أثر البيئة في الحياة
والأحياء أخذ المحققون من علمائنا وشدّدوا في مأخذهم به حتى منعوا الجمل
بمراحل الدعوة الإسلامية أن يتصدى لكتاب الله مفسرا لآياته أو خاضعا فيه .
قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري : من أشرف
علوم القرآن علم نزوله وجهاته ،

و ترتيب ما نزل بمكة ابتداء و وسطا و ختاماً و ترتيب ما نزل بالمدينة
كذلك ، ثم ما نزل بمكة و حكمه مدني و ما نزل بالمدينة و حكمه مكي .

و يعيننا من قول أبي القاسم النيسابوري هنا أنه قسم القرآن كله الى
ست مراحل زمنية : ثلاث في مكة ابتداء و وسطا و ختاماً و ثلاث بعدها في
المدينة ابتداء و وسطا و ختاماً .

و لو أتممنا عبارة أبي القاسم النيسابوري لوجدناه فيها - بعد التزامه
المنهج التاريخي الزماني - يلحق بهذا المنهج نفسه جزئيات تبدو في أنظارنا صغيرة
يسيرة ولكنها في نظره هامة جليلة اذا يجعل العلم بها فريضة على كل من
يعنى بتفسير كتاب الله المجيد فعلى المفسر الحاذق الماهر أن يعرف كذلك
ما نزل بمكة في أهل المدينة و ما نزل بالمدينة في أهل مكة ثم ما يشبه نزول

(١) هو النحوي المفسر ؛ امام عصره في القراءات ، توفي سنة ٤٠٦

المكي في المدني ، وما يشبه نزول المدني في المكي ، ثم ما نزل بالحسنة ،
وما نزل بيت المقدس وما نزل بالطائف ، وما نزل بالحديبية ثم ما نزل ليلا ،
وما نزل نهارا وما نزل مشيعا ، وما نزل مفردا ، ثم الآيات المدنية في
السور المكية ؛ والآيات المكية في السور المدنية ، ثم ما حمل من مكة الى
المدينة ، وما حمل من المدينة الى مكة ، وما حمل من المدينة الى أرض
الحسنة ، ثم ما نزل بجحلا ، وما نزل مفسرا ، وما نزل مرهوزا ، ثم
ما اختلفوا فيه فقال بعضهم مكي ، وبعضهم مدني .

هذه خمسة وعشرون وجها من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له
أن يتكلم في كتاب الله تعالى .

والعلماء الثقات وافونا بذلك كله ، فلكل آية في القرآن تاريخها بل
لكل لفظة فيه سيرتها وترجمتها .

بعد الذي وضحناه من تشدد علمائنا في استقصاء كل ما يتعلق بالمكي
والمدني - في أن الرواية الصحيحة هي الطريقة الوحيدة الى ترتيب القرآن
أمثل ترتيب زمني ، والروايات في هذا المجال لم ترد الا عن الصحابة الذين
شاهدوا مكان الوحي وعرفوا زمانه أو التابعين الذين سمعوا وصف ذلك وتفصيله
من الصحابة أما الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يرد عنه شيء من هذا
القليل - لأنه عليه السلام ، كما يقول القاضي أبو بكر في (الانتصار) ، لم يؤمر
بذلك ، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة وما لا شك فيه أن كثيرا

من الصحابة كانوا على علم كامل بالمكي والمدني به استطاعوا أن يستقصوا تلك الجزئيات الدقيقة التي حفلت بها كتب التفسير بالمأثور والمؤلفات الكثيرة في علوم القرآن .

وفي وسعنا أن نكون فكرة عن غزارة علم الصحابة في هذه الموضوعات من خلال قول ابن مسعود : ز د والذي لا اله غيره ما نزلت آية من كتاب الله تعالى الا وانا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت .

تتبعه : كثير من جزئيات المكي والمدني انتهى به العلم اليقيني عن طريق الاجتهاد ، و أن العقل كالنقل ، والقياس كالسمع في ثبوت العلم بالشيء . وقد لاحظ الجعبري هذا حين قال :

لمعرفة المكي والمدني طريقان : سماعي وقياسي - وعرف السماعي بأنه ما وصل اليقيني نزوله باحدهما ، .

ثم أنشأ يذكر أمثلة وشواهد على القياس واذ قرنا أمثله بأمثلة العلماء الذين مارسوا القرآن وتذوقوا فتونه وأساليبه استنبطنا من مجموعها ضابطا قياسيا نستطيع به أن نميز السور المكية والمدنية ، وتعرف الى طابع كل منها وخصائصه وسنرى أن هذا الضابط قلما يتخلف عند التطبيق فمن خصائص السورة المكية تبعاً لهذا الضابط .

١ - كل سورة فيها لفظ د كلا ، فهي مكية وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة ، في خمس عشرة سورة كلها في النصف الأخير من القرآن . قال الدريني رحمه الله د وما نزلت كلا يثرب فاعلمن ولم تات

في القرآن في نصفه الأعلى .

٢ - كل سورة فيها سجدة فهي مكية .

٣ - كل سورة أولها حروف التهجي فهي مكية سوى الزهراوين فانهما مدينتان بالاجماع و في الرعد خلاف .

٤ - كل سورة فيها قصص الانبياء و الامم السابقة فهي مكية سوى البقرة .

٥ - كل سورة فيها قصة آدم و ابليس فهي مكية سوى البقرة ايضا .

٦ - كل سورة فيها يأبها الناس و ليس فيها يأبها الذين آمنوا فهي مكية ولكنه ورد على هذا ما تقدم بين يديك من سورة الحج .

٧ - كل سورة من المفصل فهي مكية و هذا يحمل على الكثرة الغالبة من سور المفصل لا على جميع سور المفصل .

أما ضوابط المدني . فكما يأتي :

١ - كل سورة فيها الحدود و الفرائض فهي مدنية .

٢ - كل سورة فيها اذن بالجهاد و بيان لأحكامه فهي مدنية .

٣ - كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية ما عدا سورة العنكبوت

والتحقيق أن سورة العنكبوت مكية ما عدا الآيات الأحد عشرة الأولى

منها فانها مدنية و هي التي ذكر فيها المنافقون .

خصائص المكي

١ - نرى المكي غالبا يعالج موضوع بناء العقيدة بطريقة وحدانية وعقلية وموضوعية الأساس في اختصار كما يقول الأستاذ الشهيد سيد قطب [حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية وحقيقة العلاقات ، و تعريف الناس بربههم الحق الذي ينبغي أن يدينوا له ويعبدوه ، ويتبعوا أمره وشرعه و تنحية كل ما أدخل على العقيدة الفطرية الصحيحة من عبث ودخل وانحراف والتواء ، ورد الناس الى الالههم الحق الذي يستحق الدينونة لربوبته] .

٢ - ونرى في هذا النوع من القرآن جدالا للشركين يبين خطأهم الواضح ؛ والغايم العقل ، و اتباعهم العادات المألوفة التي وجدوا عليها آباءهم ونرى فيه هجوما عنيفا على الشرك والوثنية والعادات القبيحة ، وزجرا وتهديدا ووعيدا للكافرين .

٣ - ونرى أن المكي يغلب على آياته القصر ؛ وتكثر فيه كلمة كلا ، ويكثر فيه افتتاح السور بالحروف من أمثال [ق] و [حـم] و [كهيعص] . وأسلوب عرضه مسوح عميق الايقاع ، بالغ التأثير .

٤ - ونرى أن القرآن المكي يكثر من عرض قصص المكذبين .

خصائص المدنى

- ١ - نرى المدنى غالبا يعالج بناء المجتمع المسلم و الاسرة المسلمة بتفصيل احكام الشريعة فى نواحي الحياة المختلفة ، من معاملات و زواج و طلاق و ميراث ، وكانت هذه الاحكام مبنية على العقيدة و متبنقة منها .
- ٢ - ونرى فى هذا النوع من القرآن فضلا للناققين و كشفوا لمواصرتهم ، و عرضا لتناقضاتهم و تسفيها لشعاراتهم المخادعة التى يطرحونها .
- ٣ - ونرى فيه مجادلة لآمل الكتاب ، و مناقشة لآرائهم التى تتعارض احيانا مع حقائق التاريخ .
- ٤ - ونرى فيه ذكرا لاحكام الجهاد و الحرب و السلم و الهدنة بما يتصل بشئون الدولة المسلمة وعلاقاتها الدولية .
- ٥ - و نلاحظ أن هذه الأغراض و غيرها عرضت بأسلوب يناسبها ؛ فليس من شك فى أن موضوع النص يحدد لون الأسلوب وطريقته ، ولهذا فانتنا نرى أن الآيات فى القرآن المدنى يغلب عليها الطول . ولكن أسلوب القرآن فى النوعين : المسكى و المدنى يبق هو الأسلوب المعجز الذى تتميز عن أساليب البشر و يبق هو الأسلوب الذى بلغ الذروة فى الجمال والبيان و الروعة .

بسم الله الرحمن الرحيم

علم اسباب النزول

قد جعل الله لكل شىء سبباً كما جعل لكل شىء قدراً ، فما يصير مولود نور الحياة الا بعد أسباب وأطوار ، ولا يقع حدث فى الوجود الا اثر مقدمات وارهصات ، ولا تتغير الانفس والآفاق الا عقب سلسلة من التمهيد والاعداد .

« سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً »

ولا شىء كالتاريخ يشهد بصدق هذه السنة وانطباقها على واقع الحياة فما يسع مؤرخاً ثاقب النظر دقيق الاستنتاج أن يجهل اسباب الحوادث ودوافعها ان اراد الوصول الى الحقائق التاريخية الثابتة من خلال الوثائق والنصوص .

لكن التاريخ لا يفرد وحده بالحاجة الى استنباط النتائج من خلال المقدمات ، و استبطان الحقائق من مضمون الأسباب ، بل العلوم الطبيعية والدراسات الاجتماعية والفنون الادبية تشارك التاريخ كذلك فى تطلعها الى معرفة الأسباب والمسببات ؛ واستشرافها الى العلم بالمبادئ والغايات .

قال الجعبرى :

نزول القرآن على قسمين . قسم نزل ابتداء غير مبنى على سبب من سؤال وحادثة ، ككثر الآيات المشتملة على قصص الامم الغابرة مع أنبيائها أو وصف بعض الوقائع الماضية أو الأخبار الغيبية المستقبلية ، أو تصوير قيام الساعة أو مشاهد القيامة أو أحوال النعيم والعذاب ، وهى فى القرآن كثيرة انزلها الله لهداية الخلق الى الصراط المستقيم وجعلها مرتبطة بالسياق القرآنى سابقة ولاحقة ، من غير أن تكون اجابة عن سؤال أو بياناً للحكم شىء وقع . وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال وهذا محل البحث غير أننا لا نريد أن نستعرض جميع الآيات التى جاءت على أسباب ، فذلك شىء بعيد المدى إنما الغرض أن نحيطك علماً بما يمكن احاطته من أسباب النزول .

زعم بعض الناس أنه لا فائدة للامام بأسباب النزول وانها لا تعدو أن تكون تاريخاً للنزول أو جارية مجرى التاريخ وقد أخطأ فيما زعم ، فان لأسباب النزول فوائد متعددة - .

منها وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .

ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب

ومنها الوقوف على المعنى ، قال الشيخ أبو الفتح القشيرى « يان سبب النزول طريق قوى فى فهم الكتاب العزيز . »

ومنها أن يكون اللفظ عاماً ، ويقوم الدليل على تخصيصه

ومنها الوقوف على المعنى وازالة الاشكال .

قال الواحدى :

لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها و بيان نزولها .

و قال ابن دقيق العيد :

بيان سبب النزول طريق قوى في فهم معانى القرآن .

قال ابن تيمية :

معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، فان العلم بالسبب يورث

العلم بالمسبب و منها دفع توهم الحصر و قال الشافعى رضى الله عنه ما معناه
في معنى قوله تعالى [قل لا أجد فيما أوحى الى محرما] .

ان الكفار لما حرموا ما أحل الله ، و أحلوا ما حرم الله ، و كانوا

على المضادة و المحادة جاءت الآية متناقضة لغرضهم ، فكأنه قال : لا حلال

الا ما حرمتموه و لا حرام الا ما أحللتهموه ، نازلة منزلة من يقول لا تاكل

اليوم حلالة ، فنقول : لا آكل اليوم الا الحلالة .

و الغرض المضادة لا النفي و الاثبات على الحقيقة فكأنه قال : لا حرام

الا ما حلتهموه من الميتة و الدم و لحم الخنزير و ما اهل لنير الله به ؛ و لم يقصد

حل ما وراه ، اذ القصد اثبات التحريم لا اثبات الحل .

قال امام الحرمين^٢ « و هذا في غاية الحسن ، ولولا سبق الشافعى

(١) سورة الانعام رقم : ١٤٥

(٢) هو أبو المعالى عبد الملك بن أبى عبدالله بن يوسف بن محمد الجوينى الشافعى =

الى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية وهذا قد يكون من الشافعي أجراه مجرى التأويل ، ومن قال بمراعاة اللفظ دون سببه لا يمنع من التأويل .

ان آيات الظهار - في أوائل سورة المجادلة - نزلت في أوس بن الصامت ، فقد ظاهر من امرأته فحرمها على نفسه كظهر أمه . وصرحت الآيات بان كفارة الظهار تحرير رقبة ، أو صيام شهرين متتابعين ، أو اطعام ستين مسكينا ؛ ثم وقعت سلمة بن صخر واقعة بمائلة ، فظاهر من امرأته حتى ينسلخ شهر رمضان ، فلما سال النبي عن شأنه أفتاه بما أنزل الله في أوس . ولم يكن حديث سلمة سبب نزول الآيات ولكن حديث أوس كان سبب نزولها بيد أن العلماء اتفقوا على تعدية هذه الآيات الى غير سببها ، فقالوا في أوائل تفسيرها على سبيل التجوز :
نزلت آيات الظهار في سلمة بن صخر .

وفي حديث الافك نزل حد القذف في رماء السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وكان رماتها معلومين ولكن حد القذف تعداها الى غيرهم ، رغم ارتكابهم اقبح قذف وأوقحه لأنهم رموا أم المؤمنين ، ومن رمى أم قوم فقد رماهم ، حتى جاءت عبارة الآية عامة جمعت في لفظ المحصنات

= العراق ، شيخ الامام الغزالي ، وأعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ،
توفي سنة ٤٧٨

عائشة مع غيرها فقال الله تعالى « و الذين يرمون المحصنات » ،
والقول بتعدية الآيات الى غير أسبابها جر الجمهور الى الاخذ بعموم
اللفظ بدلا من خصوص السبب .

ومنها ازالة الاشكال في الصحيح عن مروان بن الحكم انه بعث الى
ابن عباس يسأله : لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد
بما لم يفعل معذبا لتعذبن أجمعون .

فقال ابن عباس : هذه الآية نزلت في أهل الكتاب ثم تلا قوله
تعالى « واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ،
الى قوله تعالى « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما
لم يفعلوا .

قال ابن عباس : سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه
واخبروه بغيره فخرجوا وقد أرواه أن قد أخبروه بما سألهم عنه فاستحمدوا
بذلك اليه وفرحوا بما أتوا من كتابهم ما سألهم عنه . انتهى بتصرف .
ومن ذلك قوله تعالى : « ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات
جناح فيما طعموا » ،

فحكى عن عثمان بن مظعون وعمر بن سعد يكرب أنها كانا يقولان
الخير مباحة ، ويحجان بهذه الآية وخفي عليهما سبب نزولها ، فانه يمنع من

(١) سورة النور رقم : ٤

(٢) سورة المائدة رقم : ٩٣

ذلك ، وهو ما قاله الحسن وغيره لما نزل تحريم الخمر ، قالوا : كيف باخواننا الذين ماتوا وهي في بطونهم ؛ وقد أخبر الله أنها رجس فانزل الله تعالى . ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح . .

و من ذلك قوله تعالى : « واللائئ يثنى من المحيض من نسائكم ان ارتبتم » . قد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة ، وقد بينه النزول روى ان ناسا قالوا : يا رسول الله ، قد عرفنا عدة ذوات الاقراء ، فما عدة اللائئ لم يحضن من الصغار والكبار ؟ فنزلت ، فهذا يبين معنى [ان ارتبتم] أى أن أشكل عليكم حكمهن ، وجهلتم كيف يعددن ؟ فهذا حكمهن .

و من ذلك قوله تعالى : [والله المشرق والمغرب ، فاينما تولوا فثم وجهه الله] .

فانا لو تركنا مدلول اللفظ لاقتضى ان المصلى لا يجب عليه استقبال القبلة سفرا ولا حضرا ، وهو خلاف الاجماع فلا يفهم مراد الآية حتى يعلم سببها ، وذلك أنها نزلت لما صلى النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته ، وهو مستقبل من مكة الى المدينة حيث توجهت به ، فعلم أن هذا هو المراد . و من ذلك قوله تعالى : [ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم] .

(١) سورة الطلاق رقم : ٤

(٢) سورة البقرة رقم ١١٥

(٣) سورة التغابن رقم : ١٤

فان سبب نزولها أن قوما أرادوا الخروج للجهاد فمتهم أزواجهم وأولادهم [فأنزل الله تعالى هذه الآية ثم أنزل الله في بقيتها ما يدل على الرحمة وترك المؤاخذه فقال : و ان تعفوا و تصفحوا و تغفروا فان الله غفور رحيم] .

أول السنة :

وقد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشانه ، وتذكيرا به عند حدوث سببه خوف نسيانه ؛ وهذا كما قيل في الفاتحة نزلت مرتين : مرة بمكة ، وأخرى بالمدينة وكما ثبت في الصحيحين عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قبله ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ف أخبره ، فأنزل الله تعالى [وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات] فقال الرجل الى هذا ؟ فقال : بل لجميع أمتي فهذا كان في المدينة ، والرجل قد ذكر الترمذي أو غيره أنه أبو اليسر .

وسورة هود مكية بالاتفاق ، ولهذا أشكل على بعضهم هذا الحديث ؛ ولا اشكال ، لأنها نزلت مرة بعد مرة ومثاله في الصحيحين عن ابن مسعود في قوله تعالى [ويسألونك عن الروح] أنها نزلت لما سأله اليهود عن الروح وهو في المدينة . ومعلوم أن هذه في سورة الاسراء وهي مكية بالاتفاق ،

(١) سورة هود رقم ١٤٤٠

(٢) سورة الاسراء رقم : ٨٥

فان المشركين لما سألوه عن ذى القرنين و عن أهل الكهف قبل ذلك بمكة
وان اليهود أمروهم ان يسألوه عن ذلك ، فانزل الله الجواب كما قد بين في
موضعه وكذلك ما ورد في [قل هو الله أحد] انها جواب للمشركين بمكة وانها
جواب لأهل الكتاب بالمدينة .

وكذلك ما ورد في الصحيحين من حديث المسيب لما حضرت
أبا طالب الوفاة ، وتلكا عن الشهادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لا تستغفرون لك ما لم أنه ، فانزل الله [ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا
للمشركين ولو كانوا أولى قربي] وأنزل الله في أبي طالب [انك لا تهدي من
أحببت] .

وهذه الآية نزلت في آخر الأمر بالاتفاق ، وموت أبي طالب كان
بمكة ، فيمكن أنها نزلت مرة بعد أخرى وجعلت أخيرا في براءة والحكمة في
هذا كله أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضى نزول آية ، وقد نزل
قبل ذلك ما يتضمنها ، فتؤدى تلك الآية بعينها الى النبي صلى الله عليه وسلم
تذكيرا لهم بها وبأنها تتضمن هذه والعالم قد يحدث له حوادث ، فيتذكر
أحاديث وآيات تتضمن الحكم في تلك الواقعة و ان لم تكن خطرت له تلك
الحادثة . مع حفظه لذلك النص :

وما يذكره المفسرون من أسباب متعددة لنزول الآية قد يكون من

هذا الباب .

ولا سيما وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال :
نزلت هذه الآية في كذا فانه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم ،
لا أن هذا كان السبب في نزولها .

وذهب جماعة من المحدثين أن هذا من المرفوع المسند كما في قول
ابن عمر في قوله تعالى [فساؤكم حرث لكم] .

وأما الامام أحمد^٢ فلم يدخله في المسند ، وكذا مسلم وغيره وجعلوا
هذا ما يقال بالاستدلال وبالتأويل فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية
لا من جنس النقل لما وقع .

[خصوص السبب وعموم الصيغة]

وقد يكون السبب خاصا والصيغة عامة ، لينبه على أن العبرة بعموم
اللفظ .

وقال الزحخشري في سورة الهجرة يجوز أن يكون السبب خاصا
والوعيد عاما ، ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى
التعريض بالوارد فيه ، فان ذلك أزجر له ؛ وأنكى فيه .

(١) سورة البقرة رقم : ٢٢٣

(٢) هو الامام أحمد بن محمد بن حنبل صاحب المذهب وكتاب المسند ولد سنة

١٦٤ وتوفي سنة ٢٤١

(تنبيه)

اختلف علماء الأصول : هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب .
فذهب الجمهور الى الأول ، وقد نزلت آيات في أسباب واتفقوا على
تعديتها الى غير اسبابها كنزول آية الظهار في سلة بن صخر ، وآية اللعان في
شأن هلال بن أمية وحدث القاذف في رماة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ثم
تعدى الى غيرهم وقد تقدم بسط الكلام في ذلك وذهب البعض الى أن العبرة
بخصوص السبب و معنى هذا أن لفظ الآية يكون مقصورا على الحادثة اتى
نزل هو لأجلها أما أشباهها فلا يعلم حكمها من نص الآية ؛ انما يعلم بدليل
مستأنف آخر ، هو القياس اذا استوفى شروطه أو نص كقوله صلى الله عليه
وسلم « حكمى على الواحد حكمى على الجماعة ، فأية القذف السابقة النازلة
بسبب حادثة هلال مع زوجته خاصة بهذه الحادثة وحدها « على هذا الرأى .
أما حكم غيرها بما يشبهها ، فانما يعرف قياسا عليها أو عملا بالحديث
المذكور .

(تنبيه)

ان هذا الخلاف القائم بين الجمهور وغيرهم ، محله اذا لم تقم قرينة
على تخصص لفظ الآية العام بسبب نزوله أما اذا قامت تلك القرينة فان
الحكم يكون مقصورا على سببه لا محالة ، باجماع العلماء .

(تنبيه)

كما يجب أن نلاحظ أيضا إلى أن حكم النص العام الوارد على سبب يتعدى عند هؤلاء ومؤلاء إلى أفراد غير السبب بيد أن الجمهور يقولون انه يتناولهم بهذا النص نفسه وغير الجمهور يقولون انه لا يتناولهم الا قياسا أو بنص آخر كالحديث المعروف .

« حكمى على الواحد حكمى على الجماعة ،

وخلاصة القول :

أن ثمره هذا الخلاف ترجع إلى أمرين « أحدهما ، أن الحكم على أفراد غير السبب مدلول عليه بالنص النازل فيه عند الجمهور . وذلك النص قطعى المتن اتفاقا ؛ وقد يكون مع ذلك قطعى الدلالة . أما غير الجمهور فالحكم عندهم على غير أفراد السبب ليس مدلا عليه بذلك النص بل بالقياس أو الحديث المعروف ؛ وكلاهما غير قطعى .

« الثانى ، أن أفراد غير السبب كلها يتناولها الحكم عند الجمهور ما دام اللفظ قد تناولها . أما غير الجمهور فلا يسحبون الحكم إلا على ما استوفى شروط القياس منها دون سواء .

« ان أخذوا فيه بالقياس ،

ثم اعلم أنه قد يكون النزول سابقا على الحكم ، وهذا كقوله تعالى :

« قد أفلح من تزكى » ، فانه يستدل بها على زكاة الفطر ، روى البيهقي بسنده الى ابن عمر أنها نزلت في زكاة رمضان ، ثم أسند مرفوعا نحوه ، وقال بعضهم : لا ادرى ما وجه هذا التأويل لأن هذه السورة مكية ، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة .

وأخرج البغوى في تفسيره ، بانه يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم : كما قال « لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد » ، فالسورة مكية وظهر أثر الحل يوم فتح مكة : حتى قال عليه السلام : « أحلت لى ساعة من نهار » ،

وكذلك نزل بمكة « سيهزم الجمع ويولون الدبر » ، وقال عمر بن الخطاب : كنت لا ادرى اى الجمع يهزم ، فلما كان يوم بدر رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [سيهزم الجمع ويولون الدبر] .

يكون الحكم سابقا على النزول كما فى آية الوضوء فى صحيح البخارى عن عائشة قالت « سقطت قلادة لى باليداء ونحن داخلون المدينة ، فأتناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل فتنى رأسه فى حجرى راقدًا ؛ وأقبل أبو بكر فلكنزنى لكزة شديدة . وقال حبست الناس فى قلادة ، ثم ان النبى

(١) سورة الاعلى رقم : ١٤

(٢) سورة البلد رقم : ١ - ٢

(٣) سورة القمر رقم : ٤٥

صلى الله عليه وسلم استيقظ وحضرت الصبح فالتبس الماء فلم يوجد ؛ فنزلت - يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة الى قوله - لعلكم تشكرون ؛ فالآية مدنية اجماعا ، وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة ؛ قال ابن عبد البر : معلوم عند جميع أهل المغازي أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل منذ فرضت عليه الصلاة الا بوضوء ولا يدفع ذلك الا جاهل أو معاند قال : والحكمة في نزول آية الوضوء مع تقدم العمل به ليكون فرضه متلوا بالتزليل . وقال غيره : يحتمل أن يكون أول الآية نزل مقدما مع فرض الوضوء ثم نزل بقيتها وهو ذكر التيمم في هذه القصة . قلت يرد الاجماع على أن الآية مدنية ؛ ومن أمثلته أيضا : آية الجمعة ، فانها مدنية والجمعة فرضت بمكة ، وقول ابن الغرس ان اقامة الجمعة لم تكن بمكة قط برده ما أخرجه ابن ماجة عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كنت قائد أبي حين ذهب بصره ، فكنت اذا خرجت به الى الجمعة فسمع الاذان يستغفر لأبي أمامة أسعد بن زرارة فقلت يا أبتاه أرايت صلاتك على أسعد بن زرارة كلما سمعت النداء بالجمعة لم هذا ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الأحرف السبعة

نجد في الأحاديث الصحيحة المروية من طرق مختلفة ما يفيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم صرح بنزول القرآن على سبعة أحرف . ومن أصرح هذه الأحاديث ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :

« سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذت أسأوره في الصلاة ، فانتظرت حتى سلم ، ثم ليته بردائه أو بردائي فقلت : من أقرأك هذه السورة ؟ قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت له : كذبت ، فوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرأها ، فانطلقت أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، انى سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم يقرئها وانت أقرأتنى سورة الفرقان : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله يا عمر ، اقرأ يا هشام . فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرأها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هكذا أنزلت » ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه ، و روى هذا الحديث عن جمع كبير من الصحابة منهم عمر و عثمان و ابن مسعود و ابن عباس وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين .

و روى الحافظ أبو يعلى في مسنده الكبير أن عثمان رضى الله عنه قال يوما وهو على المنبر : « أذكر الله رجلا سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف ، لما قام ققاموا حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك ، فقال عثمان رضى الله عنه : « و أنا أشهد معهم ، و توافر هذه الجموع التي لم تحص عددا على هذا الموضوع ، حمل بعض الأئمة على القول بتواتر الحديث ، و في طليعة هؤلاء أبو عبيد القاسم بن سلام و اذا لم يتوافر التواتر في الطبقات المتأخرة ، فحسبنا صحة الأحاديث التي ذكرناها مؤكدة لهذه الحقيقة الدينية التي نطق بها رسول الله عليه السلام و ينجح جمهور العلماء الى ان المصاحف العثمانية اشتملت على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة ، و اختار القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني هذا الرأي و قال :

« الصحيح أن هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه الأئمة وأثبتها عثمان و الصحابة في المصحف ،

وأخبروا بصحتها ، وإنما حذفوا منها ما لم يثبت متواترا .

وعبارة « الأحرف » ، وهى جمع حرف - الواردة فى الحديث تقع على معان مختلفة فقد تكون بمعنى القراءة كقول ابن الجزرى « كانت الشام تقرأ بحرف ابن عامر ، وقد تفيد المعنى والجهة كما يقول أبو جعفر محمد بن سعدان النحوى » .

ولكن القول بأن المراد بها القراءات - كما حكى عن الخليل بن أحمد - هو أضعف الأقوال بلا ريب ، ولا سيما إذا توهم القائل أنها ما يسمى بالقراءات السبع واختلاف العلماء فى تحديد المراد من « الأحرف » المذكورة فى الحديث أثار عددا من الأقوال المتضاربة فى حقيقة الذى أنزل . فرأى فيه بعضهم خمسة وثلاثين وجها ، وبلغ بها آخرون أربعين ، وأكثرها لا يؤيد ما نقل صحيح ولا منطلق سليم . ومنشأ الخطأ فيها ارادة التعيين على سبيل القطع والجزم مع أنه لم يأت فى معناها كما يقول ابن العربى - « نص ولا أثر ، واختلف الناس فى تعيينها » .

ولم يكن بد من أن يتساءل العلماء : هل العدد محصور فى سبعة أحرف أم المراد التوسعة على القارئ ولم يقصد به الحصر ؟

فالذين يستبعدون الحصر هنا يغالون فى هجران النصوص البالغة درجة

(١) هو أحد القراء بدأ يقرأ بقراءة حمزة ثم اختار لنفسه قراءة خاصة تنسب

اليه توفى سنة ٢٣١

التواتر - كما أسلفنا - مع أن تواردها على عدد « السبعة » لا يعقل بحال من الاحوال أن يكون غير مقصودة ولا سيما إذا لوحظ أن الحديث يتناول قضية ذات علاقة مباشرة بالوحى وطريقة نزوله ، وفي مثل هذه الأمور لا يلقى الرسول صلى الله عليه وسلم الخبر غامضا ولا يذكر عددا لا مفهوم له ، فما نقل عن علماء الصحابة في هذا ليس له صلة بالاعتقاد ولكن قوما ممن لا يبالون بالنصوص ولا يتورعون عن هجرانها أو اخراجها عن ظاهرها تسرعوا فأروا « أنه ليس المراد بالسبعة العدد ، بل المراد التيسير والتسهيل والسعة » ، ولفظ السبعة يطلق على ارادة الكثرة في الآحاد كما يطلق السبعون في العشرات والسبعائة في المئين ، ولا يراد العدد المعين ، ومن الغريب أن ينسب مثل هذا الرأى الى القاضى عياضاً وهو الذى لا يفضل على الرواية الصحيحة شيئا ولكن السيوطى رد على هذا القول ردا قويا مؤيدا بالنصوص .

واذن فلفظ السبعة لا يراد به الكثرة بل الحصر كما فهمه جل العلماء وهو الذى كان السبب فيما عانوه من محاولة البحث عن هذا العدد المعين فالأكثر - كما يقول ابن حيان - على أنه محصور في سبعة يد أن كثيرا من تلك

(١) القاضى عياض هو عالم المغرب وامام اهل الحديث في قرطبة ، وهو عياض ابن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي ، صاحب كتاب الشفاء ، بتعريف

حقوق المصطفى ، توفي سنة ٥٤٤ هـ .

المحاولات لم يحالفها التوفيق ، كما رأينا قول من جنح الى أن الأحرف السبعة هي القراءات ، ويكاد يقارب هذا القول في الضعف رأى الذين حصروا هذه الأحرف في بعض اللهجات أو اللغات .

و هذه الآراء السابقة كلها - على ضعفها - لا نستغرب ذكر العلماء لها بين تلك المجموعات من الأقوال الشارحة للأحرف السبعة ، ولكننا لا نستغرب فحسب بل نستنكر استنكارا شديدا جنوح بعض العلماء الى مثل هذه المفهومات السقيمة ويرون في الأحرف السبعة ما لا يراه الناس و اذا لم يصح الاختصار على أحد تلك الآراء السابقة فقد بدا لنا استقصاء الممكن منها وهو لا يعارض النقل والعقل ، ربما كان أصوب الآراء وأبعدا عن الافراط والتفريط : فالمراد من هذه الأحرف السبعة والله أعلم - الأوجه السبعة التي وسع بها على الأمة ؛ فبأى وجه قرأ القارئ منها فقد أصاب - ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصرح بهذا كل التصريح حين قال : « أقرأني جبريل على حرف ، فراجعته فلم أزل استعيده حتى انتهى الى سبعة أحرف فاللفظ القرآني الواحد مهما تعدد أداؤه وتنوع قراءته لا يخرج التباين فيه عن الوجوه السبعة الآتية »

الأول : اختلاف الأسماء في افرادها وتثنيها وجمعها وتذكيرها وتانيها .

الثاني : اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر .

الثالث : اختلاف وجوه الاعراب .

الرابع : اختلاف بالنقص والزيادة .

الخامس : اختلاف في التقديم والتأخير .

السادس : اختلاف الابدال .

السابع : اختلاف اللهجات في الفتح والامالة والترقيق والتفخيم

والتحقيق والتسهيل والادغام والاعظهار .

وقال ابن الجزرى : قد تبعت صحيح القراءات وشاذما وضعفها ومنكرما فاذا هي يرجع اختلافها الى سبعة اوجه لا تخرج عنها ، وذلك اما فى الحركات بلا تغير فى المعنى والصورة نحو البخل بضم الباء وسكون الخاء ؛ والبخل بفتح الباء والخاء ، وبحسب بكسر السين وفتحها أو تغير فى المعنى فقط نحو « فلقى آدم من ربه كلمات » فقد قرئ بنصب آدم ورفع كلمات .

واما فى الحروف بتغير المعنى دون الصورة نحو « تبلو » فقد قرئ « تلو » ، « تأمن » ، أو تغير الصورة لا المعنى نحو « الصراط » فقد قرئ بالسين على الاصل . أو بتغيرهما نحو « فاسعوا » فقد قرئ شاذما « فامضوا » ، واما فى التقديم والتأخير نحو « فيقتلون ويقتلون » فقد قرئ بتقديم الفعل المبني للجھول على الفعل المبني للعلوم أو فى الزيادة والنقصان نحو « وصى » فقد قرئ بزيادة همزة بين الواوين وتخفيف الصاد ، فهذه سبعة لا يخرج الاختلاف عنها .

قال : وأما نحو اختلاف الاظهار والادغام والروم والاشمام والتخفيف والتسهيل والنقل و الابدال فهذا ليس من الاختلاف الذى يتنوع فى اللفظ والمعنى ، لأن هذه الصفات المتنوعة فى أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا انتهى .

و الخلاصة : أن تنوع القراءات ، يقوم مقام تعدد الآيات . وذلك ضرب من ضروب البلاغة ، يبتدئ من جمال هذا الایجاز ، وينتهى الى كمال الإعجاز أضف الى ذلك ما فى تنوع القراءات من البراهين الساطعة ، والأدلة القاطعة على أن القرآن كلام الله وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هذه الاختلافات فى القراءة على كثرتها لا تؤدى الى تناقض فى المقرؤ وتضاد بل القرآن كله على تنوع قراءاته يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه بعضا ، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد فى علو الأسلوب والتعبير ، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم . وذلك - من غير شك - يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف .

قال ابن الجزرى :

كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه و وافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ولا يحل انكارها ، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من

الأئمة المقبولين ، ومضى أختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة ، سواء أكانت عن السبعة أم عن من هو أكبر منهم ، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف صرح بذلك الداني ومكي والمهدوي وأبو شامة وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافة .

قال أبو شامة : في المرشد الوجيز لا ينبغي أن يغير بكل قراءة تعزى إلى أحد السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة وأنها أنزلت هكذا ، إلا إذا دخلت في ذلك الضابط ، وحيث لا يتفرد بنقلها مصنف عن غيره ، ولا يختص ذلك بنقلها عنهم ، بل إن نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة ، فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا على من تنسب إليه ؛ فإن القراءة المنسوبة إلى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمع عليه والشاذ غير هؤلاء السبعة أشهرتهم وكثرة الصحيح المجمع في قراءتهم تركن النفس إلى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم .

وكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر إنكارهم كخفض والأرحام ونصب ليجزى قوماً ، والفصل بين المضافين في قراءة ابن عامر في قوله ، وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم^٢

(١) سورة النساء رقم : ١

(٢) سورة الجاثية رقم : ١٤

(٣) سورة الأنعام رقم : ١٣٧

وغير ذلك .

قال الداني :

وأئمة القراء : لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الإلقاء في اللغة ، والأقيس في العرية . بل على الأثبت في الأثر الأصح في النقل ، وإذا أثبتت الرواية لم يرد لها قياس عرية ولا فشو لغة ؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها . انتهى .

(تنبيهات)

الأول :

لا خلاف أن كل ما هو من القرآن يجب أن يكون متواترا .

الثاني :

قال الزركشي في البرهان : القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والاعجاز ، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما .

الثالث :

قال أبو شامة : ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث ، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل ، وقال : أبو العباس بن عمار . لقد نقل مسبع هذه

السبعة ما لا ينبغي له . و اشكل الامر على العامة بابهامه كل من قل نظره
أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر ، ولينه اذ اقتصر نقص عن السبعة
أو زاد ليزيل الشبهة . و وقع له أيضا في اقتصاره على كل امام على راويين
أنه صار من سمع قراءة راو ثالث غيرهما أبطلها ؛ وقد تكون هي أشهر
وأصح وأظهر .

الرابع :

اختلاف القراءات يظهر اختلاف الأحكام ولهذا بنى الفقهاء نقض
وضوء الملبوس وعدمه على اختلاف القراءة في « لمستم ، بالقصر » و « لامستم ،
بالمدة ، و جواز وطئ الحائض عند الانقطاع قبل الغسل وعدمه على
الاختلاف في « يطهرون و يطهرون ، » .

الخامس :

من المهم معرفة توجيه القراءات ، وقد اعتنى به الأئمة و أفردوا فيه
كتباً منها الحجة لأبي على الفارس :

حكمة تعدد القراءات

١ - التخفيف والتيسير على هذه الأمة في قراءة القرآن : ففي الناس المرأة
والشيخ والانسان العادي من لا يقدرُونَ على النطق بغير لهجاتهم
وقد آتس الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك ، فطلب من ربه المعافاة فاستجاب
له ، وخفف على أمته ، وأنزل القرآن على قراءات متعددة .

٢ - شرح الألفاظ : مثلاً القراءة التي وردت الآية فيها كما يأتي : « وتكون

الجبال كالصوف المنفوش^١ ، أفادت في شرح كلمة [العهن] الواردة في

القراءة الأخرى المعروفة : [وتكون الجبال كالعهن المنفوش] .

٣ - بيان حكم من الأحكام : مثل قوله تعالى [وان كان رجل يورث كلالة

أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منها السدس^٢] .

قرأ سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه [وله أخ أو أخت من أم]

بزيادة لفظ « من » أم ، وكذلك قوله تعالى [فاعتزلوا النساء في المحيض

ولا تقربوهن حتى يطهرن^٣] .

فقراءة [يطهرن] بالتشديد مبينة لمعنى قراءة التخفيف .

٤ - دفع توهم ما ليس مراداً : مثل قوله تعالى [يا أيها الذين آمنوا اذا نودى

للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله^٤] قرئ [فامضوا الى ذكر

الله] فالقراءة الأولى توهم وجوب السرعة في المشى الى صلاة الجمعة

ولكن القراءة الثانية رفعت هذا التوهم .

٥ - تحدى القرآن جميع العرب ، فلو أتى بلغة دون لغة لقال الذين لم يأت

بلغتهم : لو أتى بلغتنا لآتيننا بمثله .

(١) سورة القارعة رقم : ٥

(٢) سورة النساء رقم : ١٢

(٣) سورة البقرة رقم : ٢٢٢

(٤) سورة الجمعة رقم : ٩

٦ - ان وجود القراءات حمل النحويين على توجيهها ، فاغنى هذا التوجيه العرية بعد قهرها .

قال الزركشى : [وقد اعتنى بتوجيه القراءات الائمة ، وأفردوا فيها كتباً . منها كتاب « الحجة » ، [لأبي على الفارس وكتاب « الكشف لمكي وكتاب ، المحتسب في توجيه الشواذ لابن جنى .

٧ - ومن فوائد تعدد القراءات اظهار سر الله في كتابه وصيائته له عن التبديل والاختلاف مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة .
الملاحظات حول القراء السبعة

١ - ان مؤلاء القراء السبعة من أنصار العلم المعروفة التي انبثق منها علم النبوة كما يقول ابن تيمية - وهي : مكة والمدينة ، والكوفة والبصرة ، والشام ويلاحظ من معرفة مؤلاء القراء أن حظ الكوفة أكبر من غيرها من الأمصار اذ كان منها ثلاثة من سبعة وهم : عاصم وحمة والكسائي .

٢ - ان مؤلاء القراء جميعاً كانوا من رجال القرن الثاني الهجرى أدرك معظمهم القرن الأول ، وتلقوا عن الصحابة ، ولذلك فقد كان معظمهم من التابعين ، وأولهم وفاة هو ابن عامر توفى سنة ١١٨ وأخرم وفاة الكسائي توفى سنة ١٨٩

٣ - ان مؤلاء القراء من الموالى باستثناء قارئيه وهما أبو عمرو بن العلاء

وعبد الله بن عامر .

٤ - ان هؤلاء القراء جميعا كانوا من المعمرين الذين أتيح لهم أن يقرئوا الناس القرآن مدة طويلة ، وتخرج عليهم اجيال .

٥ - ان هؤلاء القراء كانوا جميعا من العلم والورع والاستقامة والخلق بالمكان الاسمى .

٦ - يلاحظ أن بعض القراء تلقى روايتهم القراءة عنهم مباشرة وبعضهم تلقى الرواة المذكورون القراءة عنهم بالواسطة .

ومذا والله أعلى وأعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

(علم المحكم والمتشابه)

نستطيع بحول الله تعالى أن نقول : ان القرآن كله محكم ، وذلك ان أردنا بإحكامه اتقانه وجمال نظمه بحيث لا يتطرق اليه الضعف في ألفاظه ومعانيه ، وعلى هذا المعنى أنزل الله قوله الكريم : « كتاب أحكمت آياته » ، كما نستطيع أن نقول : ان القرآن كله متشابه ، وذلك ان أردنا بتشابهه تماثل آياته في البلاغة والاعجاز وصعوبة المفاضلة بين أجزائه ، وبهذا المعنى أنزل الله قوله الحكيم .

« الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثنى »^١ ، كما نستطيع أن نقول أيضا ان بعضه محكم وبعضه متشابه وفي ذلك يقول الله تعالى : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراشخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر

(١) سورة هود عليه السلام رقم : ١

(٢) سورة الزمر رقم : ٢٣

الا أولو الالباب ، .

من الواضح في هذه الآية أن المحكم يقابل المتشابه ؛ كما أن الراسخين في العلم يقابلون الذين في قلوبهم زيغ ، وقد حمل هذا التقابل العلماء على تعريف كل من المحكم والمتشابه فكثرت آراؤهم في هذا الموضوع وتعددت وجهات نظرهم ، ولكن آراؤهم ترجع في النهاية الى أن المحكم هو الذي يدل على معناه بوضوح لا لبس فيه والمتشابه هو الذي يخلو من الدلالة الراجعة على معناه ، وقد أورد السيوطي في « الاتقان » [تعريفات عديدة لها فیدخل في المحكم النص والظاهر أما النص فلانه اللفظ الذي وضع للمعنى الراجع المتبادر الى الذهن . ويدخل في المتشابه المجمل والمؤول والمشكل ، لأن المجمل يحتاج الى تفصيل والمؤول لا يدل على معنى الا بعد التأويل ، والمشكل خفي الدلالة فيه لبس وإبهام ووضوح الدلالة في المحكم يغنيانا عن البحث عنه لأنه قراءتنا له كافية لفهامنا المراد منه ، ولكن خفاء المتشابه جدير أن يشغلنا بعض الوقت لكي نعرفه ثم نتجنبه فلا ننبه كالذين في قلوبهم زيغ .

أن أكثر العلماء يذهبون الى أن المتشابه لا يعلم تاويله الا الله ؛ ويوجبون في الآية الوقف على لفظ الجلالة ، أما الراسخون في العلم فقد انتهى عنهم بتاويل القرآن الى أن قالوا : « آمنا به كل من عند ربنا ، .

لكن أبا الحسن الأشعري كان يرى أن الوقف في الآية على قوله

تعالى « والراستخون في العلم ، فهم على ذلك يعلمون تاويل المتشابه وقد أوضح هذا الرأي أبو إسحاق الشيرازي وابتصر له فقال « ليس شيء استأثر الله تعالى بعلمه ، بل وقف العلماء عليه لأن الله تعالى أورد هذا مدحا للعلماء : فلو كانوا لا يعرفون معناه لشاركوا العامة ، وتوسط الراغب الأصفهاني في قسم المتشابه من حيث امكان الوقوف على معناه الى ثلاثة أضرب :

ضرب لا سبيل الى الوقوف عليه ، كوقت الساعة وخروج الدابة ونحو ذلك .

وضرب للانسان أسباب الى معرفته كالألفاظ الغريبة والاحكام المغلفة . وضرب متردد بين الأمرين . يختص به بعض الراستخين في العلم ويخفى على من دونهم وهو المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس : ز « اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل » ، وما لا يدع مجالاً للشك - أن في رأى الراغب قصدا واعتدالا فذات الله وحقائق صفاته لا يعلمها الا هو ، وفي المعنى يقول في دعائه أنت كما أثبتت على نفسك ، لا أحصى ثناء عليك « والعلم بالغيب مما استأثر الله به ، مصداقا للآية الكريمة : ، ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير » ،

(١) الراغب الأصفهاني هو الحسين بن المفضل ، أبو القاسم ، أديب كبير ، أم

كتبه (مفردات القرآن) توفي سنة ٥٠٢

(٢) سورة لقمان رقم : ٣٤

ولقد رأينا في بحث فواتح السور كيف أحيطت هذه الحروف بهو من التورع
عن تاويل حقائقها وعرفنا أن أراء العلماء فيها إنما كانت تدور حول حكمة
وجودها لا حول كنه حقيقتها ففي خفاء مثل هذه الأمور وعجز الانسان عن
الوصول اليها ما يقلل من غزوره ويخفض من كبريائه ، ويحمله على أن يقول :
سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ١ .

و الآيات المشكلة الواردة في صفات الله تعالى ، كقوله د الرحمن
على العرش استوى ، هي من أهم ما يتعلق بهذا الضرب من المتشابه الذي
لا سبيل لأحد من البشر الى الوقوف عليه وقد أفردنا ابن اللبان بكتاب سماه
د رد المتشابهات ، الى الآيات المحكمات ٢ .

وذكر الرازي الحكمة من متشابه الصفات فقال : د ان القرآن يشتمل
على دعوة الخواص والعوام ، وطبائع العوام تنفر في أكثر الأمور عن
ادراك الحقائق ، فمن سمع من العوام في أول الامر اثبات موجود ليس بجسم
ولا متحيز ولا مشار اليه ، ظن أن هذا عدم ونفى محض فيقع في التعطيل ،
فكان الأنسب أن يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما يناسب ما تخيلوه
وما توهموه ، ويكون ذلك مخلوطا بما يدل على الحق الصريح ، فالقسم الأول

(١) سورة البقرة رقم ٣٢

(٢) ابن اللبان هو محمد بن أحمد عبد المؤمن الأسعردى شمس الدين مفسر من
أهل دمشق توفي سنة ٧٤٩ له تفسير مخطوط .

وهو الذى يخاطبون به في أول الأمر - من باب المتشابه ، والقسم الثانى وهو الذى يكشف عن الحق الصريح هو المحكم ، .
والعلماء في متشابه الصفات مذهبان :

الأول : مذهب السلف ، وهو الايمان بهذه المتشابهات و تفويض معرفتها الى الله تعالى . سئل الامام مالك عن الاستواء فقال : الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، واظنك رجل سوء ، أخرجه عنى ، .

الثانى : مذهب الخلف ، وهو حمل اللفظ الذى يستحيل ظاهره على معنى يليق بذات الله . وينسب هذا المذهب الى امام الحرمين^١ ، و جماعة من المتأخرين .

ولتوضيح المذهبين نذكر بعض الآيات القرآنية الواردة في متشابه الصفات فمن ذلك : الرحمن على العرش استوى^٢ ، وجاء ربك والملك صفا صفا^٣ ، و هو القاهر فوق عباده^٤ ، يا حسرتا على ما فرطت في

(١) امام الحرمين هو عبد الملك بن أبى عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى الشافعى العراقى . ابو المعالى كان شيخ الامام الغزالى و من أعلم أصحاب الشافعى توفى سنة ٤٤٨ هـ .

(٢) سورة طه رقم : ٥

(٣) سورة الفجر رقم : ٢٢

(٤) سورة الانعام رقم : ٦١

جنب الله^١ ، .

٢ - وقد أخرج الدارمي عن سليمان بن يسار أن رجلا يقال له ابن صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فأرسل اليه عمر وقد أعد له عراجين النخل ، « ويقي وجه ربك^٢ » ، « و لتصنع على غنى^٣ »
« يد الله فوق أيديهم^٤ » ، « ويحذركم الله نفسه^٥ » .

فالسلف ينزهون الله عن هذه الظواهر المستحيلة عليه ، و يؤمنون بها بالغيب كما ذكرها الله ، و يفوضون علم حقائقها اليه ، أما الخلف فيحملون الاستواء على العلو المعنوي بالتدبير من غير معاناة ، و يحى الله على بحى أمره^٦ ، و فوقيته المراد بها العلو من غير جهة . وقد قال فرعون -
« و انا فوقهم قاهرون » .

و بما لا شك فيه أنه لم يرد العلو المكانى ، هكذا قال السيوطى

(١) سورة الزمر رقم : ٥٦

(٢) سورة الرحمن رقم : ٢٧

(٣) سورة طه رقم : ٣٩

(٤) سورة الفتح رقم : ١٠

(٥) سورة آل عمران رقم : ٢٨

(٦) وقد حكى ابن الجوزى عن القاضى أبى يعلى تأويل الأمر فى قوله تعالى

« أو يأتى ربك » سورة الانعام آية رقم ١٥٨ قال : و هل هو الا أمره ؟

بدليل قوله « أو يأتى أمر ربك » سورة النحل آية رقم ٣٣

في « الاتقان » ، « وجبه » ، في طاعته وحقه لان التفريط انما يقع في ذلك ولا يقع في الجنب المهود ، ووجهه على ذاته ، وعينه « على عنايته ويده على قدرته ونفسه على عقوبته » ، وهكذا يؤول الخلف - على هذا المتوال - جميع ما ورد من رضى الله وجهه وغضبه وسخطه وحياته يحملها على أقرب مجاز ، ويقولون لا يراد من هذه الألفاظ الا لازمها .

وقد فهم ابن اللبان في كتابه « رد المتشابهات » ، الحكمة من ورود هذه الآيات فقال : « من المعلوم أن أفعال العباد لا بد فيها من توسط الجوارح مع أنها منسوبة اليه تعالى ، وبذلك يعلم أن لصفاته تعالى في تجلياتها مظهرين :

مظهر عبادى منسوب لعباده وهو الصور و الجوارح الجسمانية ، ومظهر حقيقى منسوب اليه ؛ وقد أجرى عليه أسماء المظاهر العبادية المنسوبة لعباده على سبيل التقريب لافهامهم ، و التأنيس لقلوبهم ، ولقد نبه في كتابه على القسمين وأنه منزعه عن الجوارح في الحالين ، فنبه على الأول بقوله « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم » ، فهذا يفهم أن كل ما يظهر على أيدي العباد فهو منسوب اليه تعالى ، ونبه على الثاني بقوله فيما أخبر عنه نبيه صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم « ولا يزال عبدى يتقرب الى بالذوافل حتى أحبه » ، فاذا أحبته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، الخ . الحديث .

وقد حقق الله ذلك لنبيه بقوله « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله

وبقوله « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » .

وكأنى بابن اللبان هنا يستشعر - بذوقه الادبي الرفيع - ما في الكتابة عن الحقائق الدينية الكبرى من الحسن والجمال فهذا الاسلوب الرمزي ترسم في الخيال الانساني صورة حسية عن الفكرة المجردة ، وتقرب الى الناس في جميع الاجيال اسمى الحقائق بواسطة الخيال .

ولعل اشتغال القرآن على المتشابه وعدم اقتصاره على المحكم وحده ان يكون حافزا للمؤمنين على الاشتغال بالعلوم الكثيرة التي تقدروهم على فهم الآيات المتشابهات فيتخلصون من ظلمة القيد ؛ و يقرؤون القرآن متدبرين خاشعين .

فوائد المتشابه

قد يرد سؤال هو : ما الحكمة في انزال المتشابه و وجوده ؟ والجواب على ذلك أن فوائد المتشابه تختلف بالنسبة الى ما يمكن علمه و الى ما لا يمكن علمه .

- أولا : فوائد المتشابه الذي يمكن علمه عديدة نذكر منها أربعة هي :
- ١ - حث العلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه والبحث عن دقائقه .
 - ٢ - ظهور التفاضل وتفاوت الدرجات اذ لو كان القرآن كله محكما لا يحتاج الى تاويل لاستوت منازل الخلق ولم يظهر فضل العالم على غيره .
 - ٣ - الحصول على الثواب الأكبر ؛ وذلك لأن المتشابه يوجب مزيد المشقة

في الوصول الى المراد ، و زيادة المشقة توجب مزيد الثواب .
٤ - تحصل العلوم الكثيرة ، و ذلك لأن المتشابه يوجب فهمه التعمق في
معرفة النحو و المعاني وغيرهما و الوقوف على أساليب العرب و العلوم
الآخري .

ثانيا : فوائد المتشابه الذي لا يمكن عليه :

- ١ - ابتلاء العباد بالوقوف عنده ، و التوقف فيه ، و التفويض و التسليم
و التعبد بالاشتغال من جهة التلاوة كالمنسوخ و ان لم يحز العمل بما فيه
- ٢ - اقامة الحجة على العرب البلغاء الانبياء لأن القرآن نزل بلسانهم و لغتهم
ومع ذلك فقد عجزوا عن الوقوف على معناه .

(تنبيه)

هذا هو المحكم والمتشابه . ونود أن نشير الى ان هاتين الكلمتين
وردتا في القرآن بمعان أخرى .

وذلك مثل قوله تعالى [كتاب أحكمت آياته] أى فى النظم والوصف .
و مثل قوله تعالى [كتابا متشابهًا] أى يشبه بعضه بعضا و يصدق
بعضه بعضا ، انتهى بتصرف .

(١) سورة هود رقم : ١

(٢) سورة الزمر رقم : ٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

(العام والخاص)

العام : هو - لفظ يستغرق الصالح من غير حصر : والقرآن الذى نزل بلسان عربى مبين ؛ يعبر عن العام بالألفاظ التى وضعها العرب لافادة الشمول والاستغراق . وقد دل الاستقراء على أن ألفاظ العموم سبعة لا تخرج عنها ، واليك بيانها مع التمثيل من واقع النصوص القرآنية :

أولا : لفظ كل ، وجميع ، وكافة ، وما فى معناها نحو « كل من عليها فان » ، وهو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا^١ ، « ادخلوا فى السلم كافة »^٢ .

ثانيا : أسماء الموصول افرادا وثنية وجمعا ، وتذكيرا وتانيئا نحو « والذى قال لوالديه أف لكما » ، فان المراد به كل من صدر منه القول بدليل قوله بعد « أولئك الذين حق عليهم القول » .

(١) سورة الرحمن رقم : ٢٦

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٩

(٣) سورة البقرة رقم : ٢٠٨

(٤) سورة الأحقاف رقم : ١٧

- « والذان يأتيناها منكم فآذوهما » ، « الذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ،
 « واللاقى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم » ،
 ثالثا : المعرف بال تعريف الجنس مفردا كان نحو « و السارق و السارقة
 فاقطعوا أيديهما » ، « أو جمعا نحو « قد أفلح المؤمنون » ،
 رابعا : اجمع المعرف بالاضافة نحو « يوصيكم الله في أولادكم » ، « خذ من
 أموالهم صدقة » ،
 خامسا : أسماء الشرط ، نحو « ومن يفعل ذلك يلق أثاما » ،
 سادسا : النكرة في سياق النفي ؛ نحو « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه » ،
 سابعا : النكرة في سياق الشرط ، نحو « وإن أحد من المشركين استجارك
 فأجره حتى يسمع كلام الله » .

-
- (١) سورة النساء رقم : ١٦
 (٢) سورة يونس رقم : ٢٦
 (٣) سورة النساء رقم : ١٥
 (٤) سورة المائدة رقم : ٣٨
 (٥) سورة المؤمنون رقم : ١
 (٦) سورة النساء رقم : ١١
 (٧) سورة التوبة رقم : ١٠٣
 (٨) سورة الفرقان رقم : ٦٨
 (٩) سورة الحجر رقم : ٢١

(أقسام العام)

يتقسم العام الى ثلاثة أقسام :

الاول :

العام الباقي على عمومته . قال القاضي جلال الدين البلقيني : ومثاله عزيز ، اذا ما من عام الا ويتخيل فيه التخصيص ، فقوله - يا أيها الناس اتقوا ربكم ، قد يخص منه غير المكلف ، وحرمت عليكم الميتة خص منه حالة الاضطراب ومنه السمك والجراد ، وحرم الربا خص منه العرايا . وذكر الزركشي في البرهان انه كثير في القرآن وأورد منه - والله بكل شيء عليم ، ان الله لا يظلم الناس شيئا : ولا يظلم ربك أحدا ، الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ، الله الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ، الله الذي جعل لكم الأرض قرارا ، .

وحاول السيوطي أن يستنبط من القرآن مثالا على ذلك فوجده في الآية - حرمت عليكم أمهاتكم ، فانه لا خصوص فيها والعموم مقصود في جميع المحارم المذكور في الآية ، ولم يكن الأمر محوجا الى هذا الجهد وذلك العنا فالعام الباقي على عمومته موجود في القرآن بكثرة كما وضع لنا من الأمثلة المذكور آنفا ، ولكنه قليل بالنسبة الى العام المراد به الخصوص .

= (١٠) سورة التوبة رقم : ٦

(١) سورة النساء رقم : ٢٢

الثاني : العام المراد به الخصوص :

وهو - ما يكون فيه الانتقال من العموم لغرض بلاغى يزيد التعبير جمالا ، والفكرة وضوحا كقوله تعالى « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » ، فالمقصود بالناس هنا انسان واحد وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه جمع ولم يفرد لجمعه ما في الناس من الخصال الحميدة ولأنه المثل الأعلى للإنسانية . وقوله « ثم افيضوا من حيث أفاض الناس » ، أخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس في قوله - من حيث أفاض الناس - قال ابراهيم : قال في المحتسب يعنى آدم لقوله - فنى ولم نجد له عزما - وقوله تعالى - فتادته الملائكة^٢ أى جبريل الى غير ذلك من الأمثلة .

الثالث :

العام المخصوص وأمثله في القرآن كثيرة جدا وهى أكثر من المنسوخ ومن أمثله « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » ، وقوله « ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله » .

(١) سورة النساء رقم : ٥٣

(٢) سورة البقرة رقم : ١٩٩

(٣) سورة آل عمران رقم : ٣٩

(٤) سورة آل عمران رقم : ٩٧

(٥) سورة التوبة رقم : ١٢٠

الفرق بين العام المراد به الخصوص ؛ والعام المخصوص
وذكر العلماء بينهما فروقا خمسة :
أحدهما :

أن الأول لم يرد شموله لجميع الأفراد ، لا من جهة تناول اللفظ
ولا من جهة الحكم بل هو ذو أفراد استعمل في فرد منها . والثاني أريد
عمومه وشموله لجميع الأفراد من جهة تناول اللفظ لها لا من جهة الحكم .
ثانيها :

أن الأول مجاز قطعا لنقل اللفظ عن موضعه الأصلي بخلاف الثاني
فان فيه مذاهب : أصلها أنه حقيقة .
ثالثها :

أن قرينة الأول عقلية ، والثاني لفظية .
رابعها :

أن قرينة الأول لا تنفك عنه بحال من الأحوال ، وقرينة الثاني
قد تنفك عنه .
خامسها :

أن الأول يصح أن يراد به واحد اتفاقا ، وفي الثاني خلاف .

(أقسام المخصص)

يتقسم المخصص بالنسبة للمخصص له الى متصل ومنفصل فالمتصل

خمس أنواع واليك يانها مع التمثيل من واقع النصوص القرآنية :

١ - الاستثناء نحو - « و الذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة و لا تقبلوا لهم شهادة و أولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا » .

٢ - الوصف نحو - « و ربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن » .

٣ - الشرط نحو - « و الذين يبتغون الكتاب مما ملكتم أيماكم فكانتوبهم ان علمتم فيهم خيرا » .

٤ - الغاية نحو - « و لا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله » .

٥ - بدل البعض نحو - « و لله علي الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » ،
و المنفصل :

هو ما كان في آية أخرى في محل آخر ، أو حديث أو اجماع أو قياس
فن أمثلة ما خص بالقرآن قوله تعالى « و المطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة

(١) سورة النور رقم : ٤

(٢) سورة النساء رقم : ٢٣

(٣) سورة النور رقم : ٣٣

(٤) سورة البقرة رقم : ١٩٦

(٥) سورة آل عمران رقم : ٩٧

قروء^١ ، خص بقوله « اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن
فما لكم عليهن من عدة^٢ ، ومن أمثلة ما خص بالحديث قوله تعالى - ز ، .
« وأحل الله البيع^٣ ، خص منه البيوع الفاسدة وهي كثيرة بالسنة ، و حرم
الربا - خص منه العرايا بالسنة .

ومن أمثلة ما خص بالاجماع آية الموايرث خص منها الرقيق فلا يرث
بالاجماع ذكره مكى ، ومن أمثلة ما خص بالقياس آية الزنا - « فاجلدوا
كل واحد منهما مائة جلدة^٤ ، خص منها العبد بالقياس على الأمة المنصوصة
في قوله - « فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ، المخصص لعموم
الآية ، ذكره مكى ايضا .

(فصل)

من خاص بالقرآن ما كان مخصصا لعموم السنة وهو عزيز ومن أمثلته
قوله تعالى « حتى يعطوا الجزية^٥ ، خص عموم قوله صلى الله عليه وسلم
« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، وقوله « ومن أصوافها

(١) سورة البقرة رقم : ٢٢٨

(٢) سورة الاحزاب رقم : ٤٩

(٣) سورة البقرة رقم : ٢٧٥

(٤) سورة النور رقم : ٢

(٥) سورة التوبة رقم : ٢٩

و أوبارما ، خص عموم قوله صلى الله عليه وسلم د وما أئين من حى
فهو ميت ، .

و قوله تعالى ز د و العاملين عليها و المؤلفة قلوبهم^٢ ، خص عموم
قوله عليه السلام د لا تحل الصدقة لغنى و لا لذى مرة سوى ، و قوله تعالى
د فقاتلوا التى تبغى^٣ ، خص عموم قوله عليه الصلاة و السلام د اذا التقى
المسلمان بسيفهما فالقاتل و المقتول فى النار ، .

د تفریع

الاول :

اذا سيق العام للذم أو الذم فهل هو باق على عمومه ؟ فيه مذاهب
أحدا : أنه باق على عمومه ، اذ لا صارف عنه و لا تنافى بين العموم
و بين المدح أو الذم .

والثانى :

أنه ليس باق على عمومه لأنه لم يسق للتعميم بل للذم أو المدح .

و الثالث :

وهو الأصح . التفصيل فيعم ان لم يعارضه عام اخر لم يسق لذلك

(١) سورة النحل رقم : ٨٠

(٢) سورة التوبة رقم : ٦٠

(٣) سورة الحجرات رقم : ٩

ولا يعم ان عارضه ذلك جمعا بينهما مثاله ولا معارض قوله تعالى « ان الأبرار
لني نعيم » و ان الفجار لني جحيم^١ ، ومع المعارض قوله تعالى « والذين هم
لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم^٢ ، فانه سيق للدح ،
وظاهره يعم الاختين بملك اليمين جمعا ؛ و عارضه في ذلك « وأن تجمعوا
بين الاختين^٣ ، فانه شامل لجمعهما بملك اليمين و لم يسق للدح فحمل الأول
على غير ذلك بان لم يرد تناوله له . ومثاله في الذم « والذين يكنزون الذهب
والفضة^٤ ، فانه سيق للذم وظاهره يعم الحلى المباح ؛ و عارضه في ذلك حديث
جابر « ليس في الحلى زكاة ، وحمل الأول على غير ذلك .

الثاني :

اختلف في الخطاب الخاص به صلى الله عليه وسلم نحو « يا أيها النبي ،
« يا أيها الرسول ، هل يشمل الأمة ؟ ف قيل يشملها لأن أمر القدوة أمر
لاتباعه معه عرفا ، والاصح في الأصول المنع لاختصاص الصيغة .
والثالث :

اختلف في الخطاب يا أيها الناس ، هل يشمل الرسول صلى الله عليه

(١) سورة الانقطار رقم : ١٣ - ١٤

(٢) سورة المؤمنون رقم : ٥ - ٦

(٣) سورة النساء رقم : ٢٣

(٤) سورة التوبة رقم : ٣٤

وسلم ؟ .

على مذاهب أصحابها وعليه الأكثرون أنه يشملهم لعموم الصيغة له . أخرج ابن أبي حاتم عن الزمري قال : إذا قال الله يا أيها الذين آمنوا افعلوا ، فالنبي صلى الله عليه وسلم منهم ، والثاني لا لأنه ورد في لسانه لتبليغ غيره ولما له من الخصائص ، والثالث أن اقترن بقل لم يشملهم لظهوره في التبليغ وذلك قرينة عدم شموله والا فيشملة ، الرابع : الأصح في الأصول أن الخطاب يا أيها الناس يشمل الكافر والعبد لعموم اللفظ ، وقيل لا يعم الكافر بناء على عدم تكليفه بالفروع ، ولا العبد لصرف منافعه إلى سيده شرعا ، الخامس : اختلف في الخطاب يا أهل الكتاب هل يشمل المؤمنين ؟ فالأصح أنه لا يشملهم لأن اللفظ قاصر على من ذكر ، واختلف في الخطاب يا أيها الذين آمنوا هل يشمل أهل الكتاب ؟ فقيل لا - بناء على أنهم غير مخاطبين بالفروع وقيل يشملهم واختاره ابن السمعاني قال : وقوله يا أيها الذين آمنوا خطاب تشریف لا تخصيص .

اتهى بتصرف

بسم الله الرحمن الرحيم

(علم الناسخ والمنسوخ)

النسخ لغة : يأتي على معان عديدة .

[١] يأتي بمعنى الازالة ومنه قوله تعالى « فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم

يحكم الله آياته » ، ومنه نسخت الشمس الظل ، ونسخ الشيب الشباب

[٢] ويأتي بمعنى التبديل كقوله « واذا بدلنا آية مكان آية » .

[٣] وبمعنى التحويل - كتناسخ المواريث ، لأن تناسخ المواريث ، هو تحويل

الميراث من واحد الى واحد .

[٤] ويأتي بمعنى النقل من موضع الى موضع ، ومنه « نسخت الكتاب ، اذا

نقلت ما فيه حاكيا للفظه وخطه . قال مكي : وهذا الوجه لا يصح

أن يكون في القرآن ، وأنكر على النحاس اجازته ذلك ، محتجا بان

الناسخ فيه لا يأتي بلفظ المنسوخ ، وانما يأتي بلفظ آخر . وقال الامام

أبو عبد الله محمد بن بركات السعدي : يشهد لما قاله النحاس قوله تعالى

(١) سورة الحج رقم : ٥٢

(٢) سورة النحل رقم : ١٠١

« انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون^١ » ، وقال : [وانه في أم الكتاب لدينا
لعلى حكيم^٢] ، ومعلوم أن ما نزل من الوحي نجوما جميعه في أم
الكتاب و هو اللوح المحفوظ كما قال : [في كتاب مكنون . لا يمسه
الا المطهرون^٣] .

النسخ اصطلاحاً : « رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى » ، وهذا أدق
تحديد اصطلاحى لهذه اللفظة يتناسق في آن واحد مع لسان العرب الذى
يرى النسخ ازالة ورفعا أفرد بالتصنيف خلق لا يحصون عددا منهم أبو عبيد
القاسم بن سلام و أبو داود السجستاني و أبو جعفر النحاس و ابن الأنبارى
وغيرهم . و من ظريف ما حكى في كتاب مبه الله أنه قال في قوله تعالى :
« ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيا وأسيرا » ، منسوخ من هذه الجملة
[وأسيرا] والمراد بذلك أسير المشركين فقرأ الكتاب عليه وابنته تسمع ، فلما
اتتهى الى هذا الموضع قالت : أخطأت يا أبت في هذا الكتاب . فقال لها
وكيف يا بنية ؟ قالت : أجمع المسلمون على أن الأسير يطعم ولا يقتل جوعا
قال الأئمة : لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله الا بعدد أن يعرف منه

(١) سورة الجاثية رقم : ٢٩

(٢) سورة الزخرف رقم : ٤

(٣) سورة الواقعة رقم : ٧٨ - ٧٩

(٤) سورة الانسان رقم : ٨

الناسخ و المنسوخ ، وقد قال علي بن أبي طالب لقاص : أتعرف الناسخ و المنسوخ ؟ قال الله أعلم ، قال ملكك وأملكك . ، والنسخ مما خص الله به هذه الأمة لحكم منها التيسير ، وقد أجمع المسلمون على جوازه و وقوعه سمعا وعقلا و أنكروه اليهود ظنا منهم أنه بداء كالذي يرى الرأي ثم يسدو ، و هو باطل لأنه يان مدة الحكم كالأحياء بعد الاماتة وعكسه ، والمرض بعد الصحة وعكسه والفقر بعد الغنى وعكسه ، وذلك لا يكون بداء فكذا الأمر والنهى . واختلف العلماء فقيل : لا ينسخ القرآن الا بقرآن كقوله تعالى ز . ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ، قالوا : ولا يكون مثل القرآن وخيرا منه الا قرآن . وقيل بل ينسخ القرآن بالسنة لأنها أيضا من عند الله قال تعالى « وما ينطق عن الهوى » وجعل منه آية الوصية الآتية ، وقيل ان السنة اذا كانت بأمر الله من طريق الوحي نسخت ؛ و ان كانت باجتهاد فلا تنسخه حكاة ابن حبيب النيسابورى في تفسيره . وقال الشافعى حيث وقع نسخ القرآن بالسنة فنما قرآن عاضد لها ، وحيث وقع نسخ السنة بالقرآن فعنه سنة عاضدة له ليتبين توافق القرآن والسنة ؛ الجمهور على أنه لا يقع النسخ الا فى الأمر والنهى ولو بلفظ الخبر ، أما الخبر الذى ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ و منه الوعد و الوعيد ، وقيل بل احدهما تنسخ الاخرى ثم اختلفوا فقيل : الآيتان اذا أوجبتا حكمين مختلفين وكانت احدهما متقدمة على الاخرى ، فالمتاخرة ناسخة للاولى كقوله تعالى « ان ترك خيرا الوصية

لوالدين والأقربين^١ ، ثم قال بعد ذلك [ولأبويه لكل واحد منهما السدس^٢] وقال تعالى [فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث^٣ ، قالوا فهذه ناسخة للاولى ، ولا يجوز أن يكون لها الوصية والميراث .

وقيل : بل ذلك جائز ، وليس فيها ناسخ ولا منسوخ ، وإنما نسخ الوصية للوارث بقوله عليه الصلاة والسلام : « لا وصية لوارث » ، وقيل ما نزل بالمدينة ناسخ لما نزل بمكة .

ويجوز نسخ الناسخ فيصير الناسخ منسوخا ، وذلك كقوله : [لکم دینکم ولی دین^٤] نسخها بقوله تعالى : [فاقتلوا المشركين^٥] ثم نسخ هذه أيضا بقوله : [حتى يعطوا الجزية عن يده^٦] وقوله تعالى : [فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره^٧] ، وناسخة قوله تعالى : [فاقتلوا المشركين^٨] ؛ ثم نسخها : [حتى يعطوا الجزية^٩] .

(تنبيه ٤)

قال ابن الحصار : إنما يرجع في النسخ الى نقل صريح عن رسول الله

(١) سورة البقرة رقم : ١٨٠

(٢) سورة النساء رقم : ١١

(٣) سورة الكافرون رقم : ٦

(٤) سورة التوبة رقم : ٥

(٥) سورة التوبة رقم : ٢٩

(٦) سورة البقرة رقم : ١٠٩

صلى الله عليه وسلم أو عن صحابي يقول آية كذا نسخت كذا . قال :
وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به مع علم التاريخ ليعرف المتقدم
من المتأخر . قال : ولا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين ؛ بل ولا اجتهاد
المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينة ؛ لأن النسخ يتضمن رفع
حكم أو إثبات حكم تقرر في عهده صلى الله عليه وسلم ، والمعتمد فيه النقل
والتاريخ دون الرأي والاجتهاد قال : والناس في هذا بين طرفي تقيض فمن
قائل لا يقبل في النسخ أخبار الآحاد العدول ، ومن متساهل يكتفي فيه بقول
مفسر أو مجتهد ، والصواب خلاف قولهما . انتهى .

تنبيهات

التنبيه الأول :

[في تقسيم سورة القرآن بحسب ما دخله من النسخ وما لم يدخله]
اعلم أن سورة القرآن الكريم [تنقسم] بحسب ما دخله النسخ
وما لم يدخله الى أقسام :

أحداها ما ليس فيه ناسخ ولا منسوخ ، وهي ثلاث وأربعون
سورة فقط وهذه السور تنقسم الى ما ليس فيه أمر ولا نهى وإلى ما فيه
نهى لا أمر .

والثاني :

ما فيه ناسخ وليس فيه منسوخ ، وهي ست سور .

الثالث :

ما فيه منسوخ وليس فيه ناسخ ، وهو أربعون سورة .

الرابع :

ما اجتمع فيه الناسخ و المنسوخ ، وهي احدى و ثلاثون سورة .
ومن غريب هذا النوع آية أولها منسوخ وآخرها ناسخ ، قيل ولا نظير لها
في القرآن ، وهي قوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم
من ضل إذا امتدديتم] ، يعنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهذا
ناسخ لقوله : [عليكم أنفسكم] ذكره ابن العربي في أحكامه .

ولا يعنينا أبدا أن نسرده أسماء السور في هذه الأقسام فان سردما
نفسها قائم على أساس فاسد من الغلو والتعسف ، وحسبك أن السور
المحكمات الخاليات من النسخ لم تزد - في هذا التقسيم - على ثلاث وأربعين
سورة كأن القاعدة هي النسخ لا الأحكام ، وكان الأصل في سور القرآن
أن يكون فيها ناسخ أو منسوخ .

والحق أن الأصل في آيات القرآن كلها الأحكام لا النسخ الا
أن يقوم دليل صريح على النسخ فلا مفر من الأخذ به وما زال العلماء
المحققون بالآيات التي قيل انها منسوخة يبحثونها من وجوها مختلفة حتى
حصروا ما تصلح منها لدعوى النسخ في عدد قليل ؛ وتعقب آخرون هذا

(١) سورة المائدة رقم : ١٠٥

القليل نفسه فآثروا في طائفة منه القول بالاحكام على القول بالنسخ : فالسيوطي مثلا حصر دعوى النسخ في احدى وعشرين آية على خلاف في بعضها ثم استثنى آيتي الاستئذان^٢ والقسمة فذكر أن الأصح فيها أنها محكمتان فصارت الآيات المنسوخة في نظره لا تزيد على تسع عشرة آية ، ولولا خشية الاستطراد لتعاقبناهما فوجدنا الصالح منها للنسخ لا يزيد على عشر فقط يد أنا فضل أن نحيل الطالب على ما ذكره السيوطي لعله يكتشف من تلقاء نفسه - في ضوء ما ذكرنا عن النسخ - ما عسى أن يكون أقرب الى التخصيص أو تأخير البيان أو الانشاء ، وما عسى أن يدخل حقا فيما نسخه الله من آيات فاتى باحسن منها أو مثلها وهو على كل شيء قدير .

التنبيه الثاني

[في القسم الثاني في ضروب النسخ في القرآن]

النسخ في القرآن على ثلاثة أضرب :

- (١) راجع الاتفاق ٣٧/٢ - ٣٨ وقد ذكر السيوطي هنا جميع هذه الآيات الصالحة للقول بالنسخ .
 - (٢) يراد بآية الاستئذان قوله تعالى « ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم و الذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ، وهي آية لا ريب في احكامها .
- أما آية القسمة فهو قوله تعالى (و اذا حضر القسمة أولو القربى و المتامى و المساكين فارزقوهم منه و قولوا لهم قولا معروفا) فقد قيل انها منسوخة بآية المواريث . و الصحيح أنها ليست منسوخة .

الأول :

ما نسخ تلاوته وبقي حكمه فيعمل به إذا تلقته الأمة بالقبول ، كما روى أنه يقال في سورة النور : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله ، ولهذا قال عمر : لولا أن يقول الناس : زاد عمر في كتاب الله لكتبها يدي . رواه البخاري في صحيحه معلقا .

الضرب الثاني :

ما نسخ حكمه وبقي تلاوته ، وهو في ثلاث وستين سورة ، كقوله تعالى : [والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا] فكانت المرأة إذا مات زوجها لزمت التبرص بعد انقضاء العدة حولا كاملا ؛ ونفقتها في مال الزوج ، ولا ميراث لها ؛ وهذا معنى قوله تعالى : [مناعا الى الحول غير اخراج]^٢ فنسخ الله ذلك بقوله : [يتبرصن بانفسهن أربعة أشهر وعشرا] وهذا النسخ مقدم في النظم على المنسوخ .

قال القاضي أبو المعالي : وليس في القرآن ناسخ تقدم على المنسوخ الا في موضعين ؛ هذا أحدهما ، والثاني قوله : [يا أيها النبي انا أحللت لك أزواجك]^٣ ، فانها ناسخة لقوله تعالى : [لا تحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل

(١) سورة البقرة رقم : ٢٣٤

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٤٠

(٣) سورة الاحزاب رقم : ٥٠

بهن من أزواج] .

الثالث :

نسخها جميعا ، فلا تجوز قراته ولا العمل به ، كآية التحريم بعشر
رضعات فنسخن بخمس ، قالت عائشة : كان مما أنزل عشر رضعات معلومات ،
فنسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي مما يقرأ
من القرآن . رواه مسلم .

وقد تكلموا في قولها : « وهي مما يقرأ » ، فإن ظاهره بقاء التلاوة
وليس كذلك فمنهم من اجاب بأن المراد قارب الوفاة ، والظاهر أن التلاوة
نسخت أيضا ولم يبلغ ذلك كل الناس الا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فتوفي وبعض الناس يقرؤها .
وقال أبو موسى الأشعري : نزلت ثم رفعت .

(التنبيه الثالث)

« في تقسيم القرآن على ضروب من وجه آخر ،

قسم بعضهم النسخ من وجه آخر الى ثلاثة أضرب :

الاول :

نسخ المأمور به قبل امثاله ، وهذا الضرب هو النسخ على الحقيقة ،
كأمر الخليل بذبح ولده ، وكقوله تعالى : [اذا ناجيتهم الرسول فقدموا

(١) سورة الاحزاب رقم : ٥٢

بين يدي نجواكم صدقة ١] ثم نسخه سبحانه بقوله تعالى : [أشفقتم ١... الآية]
الثاني :

و يسمى نسخا تجوزا ؛ وهو ما أوجب الله على من قبلنا حتم القصاص
[يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتل ٢] .
ولذلك قال عقب تشريع الدية : [ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ٢]
وكذلك ما أمرنا الله به أمرا اجماليا ثم نسخه كنسخه التوجه الى بيت الله
المقدس بالكعبة ؛ فان ذلك كان واجبا علينا من قضية أمره باتباع الانبياء
قبله ، وكنسخ صوم يوم عاشوراء برمضان .
الثالث :

ما أمر به لسبب ثم يزول السبب ، كالأمر حين الضعف والقلة
بالصبر والمغفرة للذين يرجون لقاء الله ونحو من عدم إيجاب الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر والجهاد ونحوهما ؛ ثم نسخه إيجاب ذلك وهذا ليس بنسخ
في الحقيقة وإنما هو نسء كما قال تعالى : [أوفئوها] .
فالنسء هو الأمر بالقتال ، الى أن يقوى المسلمون ، وفي حال
الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى .

(١) سورة المجادلة رقم : ١٢ - ١٣

(٢) سورة البقرة رقم : ١٧٨

(٣) سورة البقرة رقم : ٧٨

(٤) سورة البقرة رقم : ١٠٦

ومن هذا قوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم] كان ذلك في ابتداء الأمر ، فلما قوى الحال وجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمقاتلة عليه ثم لو فرض وقوع الضعف كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، عاد الحكم ، وقال صلى الله عليه وسلم : « فإذا رأيت هوى متبعا وشحا مطاعا وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بخافة نفسك » .

وهو سبحانه وتعالى حكيم أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حين ضعفه ما يليق بتلك الحال رافة بمن تبعه ورحمة ، إذ لو وجب لأورث حرجا ومشقة فلما أعز الله الاسلام وأظهره ونصره ، أنزل عليه من الخطاب ما يكافئ تلك الحالة من مطالبة الكفار بالاسلام أو باداء الدية ان كانوا أهل كتاب - أو الاسلام أو القتل ان لم يكونوا أهل كتاب .

ويعود هذان الحكمان - أعنى المسالة عند الضعف والمسايقة عند القوة - يعود سيهما ، وليس حكم المسايقة ناسخا لحكم المسالة بل كل منهما يجب امتثاله في وقته . انتهى بتصرف .

حكمة النسخ وفوائده

- ١ - مراعاة مصالح العباد .
- ١ - تطور التشريع إلى مرتبة الكمال حسب تطور الدعوة وتطور حال الناس .
- ٣ - ابتلاء المكلف واختباره بالامتثال وعدمه .
- ٤ - إرادة الخير للامة والتيسير عليها ؛ لأن النسخ إن كان إلى أشق فقيه
زيادة الثواب ؛ وإن كان إلى أخف فقيه سهولة ويسر .

فوائد معرفة المكى والمدنى

- ١ - معرفة النسخ والمنسوخ على وجه يحدد الحكم الباقي الواجب اتباعه .
- ٢ - معرفة طريقة القرآن التى صلكها فى نشأة الأمة الاسلامية وتربيتها والخطوات التى خطاها فى اقامة الدولة الاسلامية حتى يكون فى ذلك عبرة لدعاة الاصلاح . وقادة الفكر الاسلامى الذين يتطلعون الى استئناف الحياة الاسلامية من جديد .
- ٣ - التعرف على مدى الخدمة الفاتقة والهناء البالغة التى حظى بها القرآن الكريم من المسلمين من عهد الصحابة حتى يومنا هذا .
- ٤ - أخيرا فاننا نستفيد من معرفتنا للمكى والمدنى من القرآن فى فهم الآية وتفسيرها على وجه أفضل وأكمل ، ولا سيما ان وقفنا مع ذلك على أسباب النزول .

هذا والله أعلى وأعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

(المطلق و المقيد)

المطلق الدال على الماهية بلا قيد ، وهو مع القيد كالعام مع الخاص .
قال العلماء : متى وجد دليل على تقييد المطلق صير اليه والا فلا ، بل يبقى المطلق
على اطلاقه والمقيد على تقييده ، لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب . والضابط
أن الله تعالى اذا حكم فى شىء بصفة أو شرط ثم ورد حكم آخر مطلقا نظر :
فان لم يكن له أصل يرد اليه الا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به ، وان كان
له أصل يرد غيره لم يكن رده الى أحدهما باولى من الآخر .

فالأول مثل اشتراط الله العدالة فى الشهود على الرجعة والفراق
والوصية فى قوله تعالى [واشهدوا ذوى عدل منكم] - وقوله - شهادة بينكم
اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم .

وقد اطلق الشهادة فى البيوع وغيرها فى قوله - وأشهدوا اذا تبايعتم
فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم - و العدالة شرط فى الجميع و منه
تقييد ميراث الزوجين بقوله تعالى : [من بعد وصية يوصين بها أو دين] [

(١) سورة النساء رقم : ١٢

واطلاقة الميراث فيها أطلق فيه ، وكذلك ما أطلق من الموارث كلها بعد الوصية والدين وكذلك ما اشترط في كفارة القتل من الرقة المؤمنة ، واطلاقها في كفارة الظهار واليمين ، والمطلق كالقيد في وصف الرقة . وكذلك تقييد الأيدي الى المرافق في الوضوء ، واطلاقه في التيمم .

وكذلك : [و من يكفر بالإيمان فقد حبط عمله^١] فاطلق الاحباط عليه وعلقه بنفس الردة ، ولم يشترط الموافاة عليه . وقال في الآية الأخرى . [و من يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم^٢] وقيدت الردة بالموت عليها والموافاة على الكفر ، فوجب رد الآية المطلقة اليها والا يقضى باحباط الاعمال الا بشرط الموافاة عليها وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه ، و تقييد تحريم الدم بالمسفوح في الأنعام واطلاقه فيما عداها فذهب الشافعي حمل المطلق على المقيد في الجميع و من العلماء من لا يحمله ، ويمحوز اعتاق الكافر في كفارة الظهار واليمين ويكتفى في التيمم بالمسح الى الكوعين ، ويقول : ان الردة تحبط العمل بمجرد ما .

و الثاني مثل تقييد الصوم بالتتابع في كفارة القتل والظهار ، و تقييده بالتفريق في صوم التمتع ، و اطلاق كفارة اليمين وقضاء رمضان ، فيبقى على اطلاقه من جوازه مفرقا ومتابعا لا يمكن حمله عليهما لتنافي القيدين ، وهما التفريق والتتابع ، و على أحدهما لعدم المرجح .

(١) سورة المائدة رقم : ٥

(٢) سورة البقرة رقم : ٢١٧

(تنبيهات)

الأول :

إذا قلنا : يحمل المطلق على المقيد هل هو من وضع اللغة أو بالقياس ؟
مذهبان . وجه الأول أن العرب من مذهبها استحباب الاطلاق إكتفاءً بالمقيد
و طلباً للاختصار .

الثاني :

ما تقدم محله إذا كان الحكمان بمعنى واحد . وإنما اختلفا في الاطلاق
و التقييد ، فاما إذا حكم في شيء بأمور ثم في آخر بعضها وسكت فيه عن
بعضها فلا يقتضى اللاحق كالامر بغسل الأعضاء الأربعة في الوضوء و ذكر
في التيمم عضوين ، فلا يقال بالحمل ومسح الرأس والرجلين بالتراب فيه
أيضاً ، وكذلك ذكر العتق والصوم و الاطعام في كفارة الظهار ، و اقتصر
في كفارة القتل على الأولين و لم يذكر الاطعام فلا يقال بالحمل و ابدال الصيام
بالطعام .

اتمى بتصرف .

بسم الله الرحمن الرحيم

(المنطوق والمفهوم)

والقرآن يفهم بعضه بمضا، وهذا أحسن طرق التفسير واليه ذهب الموركنشى فى البرهان .

يردد المفسرون هذه العبارة كلها وجدوا أنفسهم أمام آية قرآنية تزداد دلالتها وضوحا بمقارنتها بآية أخرى . وان لهم أن يتهجوا فى تاويل القرآن هذا المنهج ، لأن دلالة القرآن تمتاز بالدقة والاحاطة والشمول ، فقلنا نجد فيه عاما أو مطلقا أو مجملا ينبغى أن يخصص أو يقيد أو يفضل الا نسم له فى موضع آخر ما ينبغى له من تخصيص أو تقيد أو تفصيل .

ولقد كانت هذه الدلالة الشاملة جديرة أن توحى الى العلماء وضع اصطلاحات خاصة يرمز بكل منها الى السمة البارزة فى كل فكرة يدعو اليها القرآن ، وفى كل مشهد يصوره ، ومن هنا نشأ فى الدراسات الاسلامية ، ما يسمى بمنطوق القرآن ومفهومه ، وعامه وخاصه ؛ ومطلقه ومقيد ، ومجمله ومفصله ؛ وقد عرفت هذه المصطلحات وامثالها واستعرضت الشواهد الكثيرة الدالة عليها ، وتباينت مناهج العلماء فى دراستها فمنهم من يبحثها على أساس

تشريعي وهم الأصوليون ؛ ومنهم من يبحثها على أساس منطقي وهم المتكلمون ، وآخرون - يؤثرون أن ينظروا الى هذه المصطلحات من خلال الزاوية اللغوية والأدبية ، ليتبعوا بلذة وشغف طريقة القرآن في الأداء والتعبير .

و أول ما ينبغي معرفته من هذه المصطلحات منطوق القرآن ومفهومه لأنهما يفصلان أنواع الدلالة القرآنية المستفادة من اللفظ والمستنبطة من المعنى فيشملان النص والظاهر والمؤول ، وغوى الخطاب ولحنه و معاني الوصف والشرط والحصص وسنوضح بمشيئة الله تعالى هذه المسألة « بنماذج ، مختلفة نجمعها بما تفرق في كتاب الله الحكيم .

المنطوق :

هو - ما دل عليه اللفظ في محل النطق وكانهم لاحظوا في تعريفه أن التلغظ بالآية هو وحده منفذنا الى دلالتها وذلك واضح جدا في « النص ، الذي لا يحمل اللفظ غيره كدلالة قوله تعالى « فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتن تلك عشرة كاملة » .

فلا يمكن أن يتحمل اللفظ غير كمال الأيام العشرة التي صرحت بها الآية ونصت عليها . وحتى ما يسمى « بالظاهر ، الذي يفيد المعنى متبادرا مع احتمال غيره احتمالا مرجوحا ؛ وهو نوع من المنطوق ، لأن دلالاته على معناه المتبادر الراجح إنما تتم في محل النطق نفسه ، لأن الراجح من

اللفظ المنطوق يقدم على مرجوحه ، يوضح ذلك قوله تعالى : فن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه^١ ، فالباغى يطلق على معنيين أحدهما مرجوح و هو الجامل والثانى راجح و هو الظالم ، لأنه هو الظاهر المتبادر من سياق الآية واستعماله فى هذا المعنى أظهر وأغلب ، كقوله تعالى : ثم بنى عليه لينصرنه الله^٢ . . . وقوله [ولا تقربوهن حتى يطهرن^٣] فيقال للانقطاع طهر ، وللوضوء والغسل غير أن الثانى أظهر . و د المؤول ، الذى يستحيل حمله على ظاهره فيصرف الى معنى آخر يعينه السياق هو كذلك نوع من أنواع المنطوق ؛ لأن ظاهرة المستحيل مرجوح ، ومعناه الذى يعينه السياق راجح يكاد اللفظ نفسه ينطق به وينبئ عنه ، من ذلك قوله تعالى : و هو معكم أينما كنتم^٤ ، فان حمل المعية على قرب الله بذاته مستحيل فتعين صرفه عن ذلك وحمله اما على الحفظ والرعاية أو على القدرة والعلم والرؤية ، كما قال تعالى : ونحن أقرب اليه من جبل الوريد^٥ ، وكقوله تعالى : و اخفض لها جناح الذل من الرحمة^٦ ، فانه يستحيل حمله على الظاهر ، لاستحالة

(١) سورة الانعام رقم : ١٤٥

(٢) سورة الحج رقم : ٦٠

(٣) سورة البقرة رقم : ٢٢٢

(٤) سورة الحديد رقم : ٤

(٥) سورة ق رقم : ١٦

(٦) سورة الاسراء رقم : ٢٤

أن يكون آدمي له أجنحة ، فيحمل على الخضوع وحسن الخلق . وكقوله تعالى :
 • وكل إنسان ألؤمه طائره في عنقه ، يستحيل أن يشد في القيامة في عنق
 كل طائع وعاص وغيرهما طير من الطيور ، فوجب حمله على التوام الكتاب
 في الحساب لكل واحد منهم بعينه .

وقد يكون اللفظ مشتركا بين حقيقتين أو حقيقة ومجاز ويصح حمله
 عليها جميعا كقوله تعالى : [لا يضار كاتب ولا شهيد^٢] فانه يحتمل ولا يضار
 الكاتب والشهيد صاحب الحق بحور في الكتابة والشهادة . ولا يضار
 بالفتح أى لا يضارهما صاحب الحق بالزامهما مالا يلزمهما واجبارهما على
 الكتابة والشهادة . سواء قلنا بمجاوز استعمال اللفظ في معنيه أو لا .

ووجهه على هذا أن يكون اللفظ قد خوطب به مرتين ، مرة أريد
 هذا ومرة أريد هذا . ثم ان توقفت صحة دلالة اللفظ على إضمار سميت
 دلالة اقتضاء نحو [واسأل القرية] أى أهلها . وان لم تتوقف ودل اللفظ
 على ما لم تقصد به سميت دلالة اشارة كدلالة قوله تعالى [أحل لكم ليلة
 الصيام الرفث الى نسائكم] على صحة صوم من أصبح جنبا اذ اباحه الجماع الى
 طلوع الفجر تستلزم كونه جنبا في جزء من النهار وقد حكى هذا الاستنباط
 عن محمد بن كعب القرظي .

(١) سورة الاسراء رقم : ١٣

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٢٣

والمفهوم هو - ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق ، وكأنهم لاحظوا في تعريفه أن المعنى الذمى هو المنفذ الوحيد الى دلالة . وهو قسمان :

مفهوم موافقة اذا وافق المنطوق بحكمه ؛ ومفهوم مخالفة اذا لم يوافق به ولكل من هذين المفهومين فروع تتعلق به ، فمفهوم الموافقة اذا دل على المعنى الأول بالأخذ والاعتبار سمي « فحوى الخطاب » ، كدلالة [فلا تقل لها أف] ، على تحريم ضرب الوالدين : لأنه أولى بالتحريم من قول أف لها ، واذا دل على المعنى المساوى سمي « لحن الخطاب » ، كدلالة « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً » [٢١] ، على تحريم احراق أموال اليتامى أو اتلافها بأي نوع من أنواع التلف ، لأن الاتلاف هو المقصود بالتحريم ، سواء حصل بالأكل أم بالاحراق فكل منهما مساو للآخر .

و مفهوم المخالفة على أنواع أهمها : مفهوم وصفي ، ومفهوم شرطى ، ومفهوم حصرى . يذكرون عادة من أنواع مفهوم المخالفة خمسة :

الصفة والشرط والغاية والعدد واللقب ، ولكفنا اقتصرنا على أهمها ويتوسع في المفهوم الوصفي فلا يقتصر فيه على التعت ، بل يدخل فيه كل ما أفاد معنى الوصفية كالحال والظرف والعدد .

(١) سورة الاسراء رقم : ٢٢

(٢) سورة النساء رقم : ١٠

مثال النعت : « ان جامكم فاسق بنياً فقيتوا أن تصيوا قوماً بجهالة » ، مفهومه أن غير الفاسق لا يجب التدين في خبره فاذا جامنا من نعت بالعدالة بنياً قبلناه وتسلمنا به وحسبنا الظن بخبره ، ومن هنا استنبط العلماء وجوب قبول الخبر الذي يرويه الواحد العدل .

ومثال الحال : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون »^١ ، فإن الغاية من الآية التدرج في تحريم المسكرات على المؤمنين ، فالصلاة لا تقرب الا في حالة الصحة التي يعلم فيها المصلي ما يقول : وفي حال السكر لا يعي الانسان شيئاً مما يفعل ويقول ، ولذلك لا تجوز صلاة المؤمنين وهم سكارى .

ومثال الظرف : « فاذكروا الله عند المشعر الحرام »^٢ ، فقد هينت الآية الظرف المكان الذي يذكر الله فيه ذكراً خاصاً ، فلو ذكر الله في غير هذا المكان لكان تحصيلاً لشيء غير مطلوب ؛ والامر التعبدى لا يعمل ، لأن تنفيذه على الوجه الذي أراده الشارع دليل على طاعة الله ، والتزيد فيه كالنقصان منه معصية ووضع للشيء في غير محله .

ومثل ذلك في قوله تعالى « الحج أشهر معلومات » ، فهذا تعيين

(١) سورة الحجرات رقم : ٦

(٢) سورة النساء رقم : ٤٣

(٣) سورة البقرة رقم : ١٩٨

(٤) سورة البقرة رقم : ١٩٨

للظرف الزماني الذي يحرم فيه الحجاج ، بحيث لو وقع احرامه في غير هذه الأشهر لكان غير صحيح .

ومثال العدد : د و الذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون ١ ، فخذ القاذف ثمانون جلدة لا أكثر ولا أقل .

وهذه الأمثلة الأربعة كلها شواهد على المفهوم الوصفي ، مع شيء من الاتساع فيه .

ومثال المفهوم الشرطي : د وان كن أولات حمل فانتقوا عليهن ٢ ، فاشتراط الحمل يفيد أن غير الحاملات لا يجب الاتفاق عليهن ٣ .

(١) سورة النور رقم : ٤

(٢) سورة الطلاق رقم : ٦

(٣) واضح أن الزوجات غير الحاملات اللاتي لا ينفق عليهن الأزواج ، من المستثنيات بما لديهن من المال ، وفقا لقاعدة الاسلام في تحقيق الكيان الاقتصادي المستقل للمرأة وكتحقيقه للرجل سواء بسواء ، « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » الآية من سورة النساء آية رقم (٢٢) أما في حالة فقر المرأة فالرجل مسئول عن الاتفاق عليها ، حاملا كانت أو غير حامل « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » الآية من سورة النساء آية رقم ٣٤

ومثال المفهوم الحصري : « اياك نعبد و اياك نستعين »^١ ، أى لا نعبد
أحدًا سواك ولا نستعين الا بك .

وقد نص العلماء على أنه لا مفهوم للوصول وصلته في قوله « وربائبكم
اللاتى في حجوركم من نسائكم »^٢ ، لأن الغالب أن يكن في حجور الأزواج ،
ولا مفهوم للشرطية في قوله « ولا تكرموا قبياتكم على البغاء ان أردن
تحصن »^٣ ، بان ارادتهن التحصن موافقة للواقع .

فلا يجوز اكراه القبيات على البغاء ان مالت أنفسهن الى الفحشاء
ولم يردن التحصن لأن الآية لا تشترط شرطا وانما توافق واقع القبيات عند
ما يكون واقعا سليما ليس فيه شذوذ . والاطلاع على ذلك من فوائد معرفة
أسباب النزول .

(فائدة)

قال بعضهم : الألفاظ اما أن تدل بمنطوقها أو بفحواها ومفهومها
أو باقتضائها وضرورتها ، أو بمعقولها المستنبط منها كما حكاه ابن الحصار وقال :
هذا كلام حسن : قلت فالأول دلالة المنطوق ، والثانى دلالة المفهوم
والثالث الاقتضاء والرابع دلالة الإشارة .
هذا والله أعلى وأعلم .

(١) سورة الفاتحة رقم : ٥

(٢) سورة النساء رقم : ٢٢

(٣) سورة النور رقم : ٣٤

إعجاز القرآن

- الإعجاز لغة : ماخوذ من المعجز ، وهو عدم القدرة على فعل الشيء المطلوب .
- اصطلاحا : إعجاز القرآن فصحاء العرب وبلغاهم عن أن يأتوا بمثله .
- القرآن الكريم : هو المعجزة الكبرى لرسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وهذا يتطلب منا معرفة المعجزة قبل الحديث عن الإعجاز .

المعجزة : ظاهرة تكررت في حياة الانبياء صلوات الله عليهم ، لتكون دليلا على صدق دعوائهم النبوة .

ولا بد في المعجزة ان تتوفر فيها امور ثلاثة .

اولا :

أنها أمر خارق للعادة غير جار على ما إعتاد الناس من سنن الكون والظواهر الطبيعية ، ولذلك فهي غير قابلة لتفسيرها على نحو ما يجرى عادة في الحياة .

ثانيا :

أنها أمر مقرون بالتحدى ، تحدى المكذبين أو الشاكين ، ولا بد

أن يكون الذين يتحدثون من القادرين على آيات مثل المعجزة ان لم تكن من عند الله والا فان التحدى لا يتصور ، إذ أننا لا نستطيع أن نتصور بطلا في الملائكة يتحدى طفلا ؛ لأن هذا الطفل عاجز عن مواجهته .

ثالثا :

أنها أمر سالم من المعارضة ، فتي أمكن لاحد أن يعارض هذا الأمر و يأتي بمثله بطل أن تكون معجزة :
و المعجزة على نوعين : حسية وعقلية .

و الملاحظ أن أكثر معجزات الانبياء السابقين كانت حسية بينما نجد أن المعجزة الكبرى التي جاء بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عقلية ، ونعني بهذه المعجزة القرآن وهناك معجزات أخرى للنبي صلى الله عليه وسلم .
جاء في الصحيح أخبارا وهي كثيرة ولعل مرد ذلك الى أن هذه الشريعة آخر الشرائع وستبقى الى الابد الى يوم القيامة ، و من أجل ذلك فقد خصت بالمعجزة العقلية الباقية ، ليراما ذوو البصائر في كل العصور ومهما تقدم الزمان .

ومكذا فان معجزات الانبياء السابقين عليهم السلام - قد انقرضت بانقراض أعصارهم ؛ فلم يشاهدا إلا من حضرا ، بينما معجزة القرآن مستمرة الى يوم القيامة .

و بنحو من هذا الذى ذكرنا فسر العلماء قوله صلى الله عليه وسلم فيما
أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة :

[ما من الانبياء نبى الا أعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان
الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الى فارجو أن أكون أكثرهم تبعا يوم القيامة] .
الاعجاز :

تحدى القرآن فصحاء العرب بمعارضته ، ومحاولتهم فى المعارضة ،
ولكنهم انهزموا أمام تحديه وأعلنوا عجزهم عن تقليده ، وهم فى الذروة العليا
من البلاغة والتحكم فى زمام القول ، وجودة القريحة ، وصفاء السليقة ، هذا
العجز من مؤلاء القوم الذين أنزل القرآن بلغتهم يشكل عنصرا واحدا من
حجة القرآن على العالم ، وهذا العنصر يضع القرآن موضع الاعتبار .

أقول إن أئمة الكفر أنفسهم شعروا بسلطانه على القلوب وهو القدر
المتاح لهم لادراك إعجاز البيان - فقالوا لاتباعهم : [لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه لعلمكم تغلبون] وذلك خوفا من سريان الروح التى شعر بها الوليد
ابن المغيرة حين قال : [إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه
مغدق أسفله وانه ليعلى ولا يعلو عليه وانه ليحطم ماتحته] وهو نفس الإعجاز
الذى أدرك منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجهها يناسبه حينما سمع القرآن
الكريم فى بيت أخته فنهاوى صرح الشرك من قلبه ، وشمخ صرح الايمان
فى كيانه ، إلى آخر ما هو معلوم لنا فى دعوة الاسلام .

فاتساع سلطانه على القلوب أعظم دليل وأصدق برهان على اتساع مدى الإعجاز القرآني الى جانب إقناع البيان وتجاوز هذا الإعجاز نطاق البلاغة والفصاحة وتصحيح النظريات العلمية والتنبؤ بالمستقبل الى نطاق السياسة والاجتماع والعلوم التجريبية كلها .

أما الرسول العظيم فيأبى أن تكون الشمس في يمينه والقمر في يساره إلا ان يظهر دين الله ، فالامر اذن فوق جودة الاسلوب وفوق كل الاعتبارات .

ذلك هو : إذعان العرب عاجزين ، أو انقيادهم مختارين الى تلك العظمة القرآنية التي تفوق مقاييس العظمة الاسلوبية المتعارفة آنذاك .

لقد اشبه الامر على العرب ، فلم تكن في الرسائل السابقة معجزات باطنة في الكتب التي أنزلت على الرسل ، أى لم تكن هناك معجزات من جنس الكلام بل كانت معجزات مادية منفصلة تماما عن الكتب السماوية .

و هذا الواقع هو الذى دفع العرب إلى أن يقولوا : [ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق] . و الى أن يطلبوا منه أن يجعل لهم الصفا ذمبا و الى أن يقولوا عن القرآن : [هذا أفك قديم] حينما لم يهتدوا بعيدا عن معجزات المادة .

القول بالصرقة

زعم إبراهيم بن إسحاق النظام وهو من أئمة المعتزلة في العصر العباسي

أن الله تعالى صرف العرب عن معارضته وكان مقدورا لهم .

وقد أنكر هذا القول الباطل جبهة علماء اللغة والدين وتولوا الرد عليه منذ أيام الجاحظ حتى العصر الحاضر ، ونورد فيما يأتي طائفة من اقوال العلماء في استنكار هذا الرأي .

قال الباقلاني رحمه الله : [على أن ذلك لو لم يكن معجزا على ما وصفناه من جهة نظمه الممتنع لكان مهما حظ من رتبة البلاغة فيه ووضع من مقدار الفصاحة في نظمه كان أبلغ في الإعجوبة اذا صرفوا عن الاتيان بمثله ، ومنعوا عن معارضته ، وعدلت دواعيهم عنه ، فكان يستغنى عن ازاله على النظم البديع واخراجه في المعرض الفصيح العجيب على أنه لو كانوا صرفوا لم يكن من قبلهم من أمل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وعجيب الرصف فلما لم يوجد في كلام من قبله مثله علم أن ما ادعاه القائل بالصرقة ظاهر البطلان وما ييطل ما ذكروه من القول بالصرقة قول الامام السيوطي ردا على هذا القول الذي قال به [النظام] ومن جرى مجراه . ان هذا القول فاسد بدليل قوله تعالى : [قل لئن اجتمعت الانس والجن . .] . الآية .

أما الجاحظ نفسه فقد فضح أسأذه [إبراهيم النظام] فقال : [بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم أكثر ما كانت العرب شاعرا وخطيبا وأحكم ما كانت لغة وأشد ما كانت عدة وهو في ذلك بحتج عليهم

بالقرآن ويدعوم صباحا ومساء الى أن يعارضوه ان كان كاذبا بسورة واحدة
أو بآيات يسيرة ، فكلماء ازداد تحديا لهم بها وتقريبا لعجزهم عنها ، تكشف
من نقصهم ما كان مستورا ، وظهر منه ما كان خفيا ، فحين لم يجدوا حيلة
ولا حجة قالوا : أنت تعرف من اخبار الامم ما لا نعرف فلذلك يمكنك
ما لا يمكننا قال فها تو ما مفتريات • فلم يرم ذلك خطيب ؛ ولا طمع فيه
شاعر • • • • • فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم وكثرة
شعرائهم وكثرة من هجاه منهم ، الى غير ذلك من الأقوال التى أبطلت
ما ذهب اليه النظام •

وقد لخص السيوطى الافكار التى يتضمنها الرد باربعة •

١ - قوله تعالى : [قل لئن اجتمعت الانس والجن • • • الآية يدل على
عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم
لانهم عندئذ يكونون كالموتى وليس عجز الموتى بما يحتفل بذكره •

٢ - أجمع العلماء على أن الاعجاز مضاف للقرآن فكيف يكون معجزا وليس
فيه صفة إعجاز : بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم القدرة •

٣ - يلزم من القول بالصرقة زوال الاعجاز بزوال زمن التحدى • ويخلو
القرآن عندئذ من الاعجاز ، وفى ذلك خرق لاجماع الامة أن معجزة
الرسول العظمى باقية ، ولا معجزة له باقية سوى القرآن •

٤ - لو كانت المعارضة ممكنة وانما منع منها الصرقة لم يكن الكلام معجزا

و انما يكون بالمنع معجزا ؛ فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه .

مدار الاعجاز

الاعجاز دليل النبي صلى الله عليه وسلم على صدق نبوته ، و على أن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد ومدار الاعجاز الذى وافقه التحدى انما كان أسلوب القرآن ونظمه و يانه ، ولم يكن لشيء خارج عن ذلك . وآيات التحدى كثيرة :

لقد تحدى الانس و الجن أن يأتوا بمثله فجزوا عن ذلك مع توافر دواعى أعدائه على معارضته وفصاحتهم وبلاغتهم .

[قل لئن إجتمع الانس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً] .

وقوله تعالى : [أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين]^٢ .

ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فجزوا .

[أم يقولون اقتراء قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل

(١) سورة الاسرا رقم : ٨٨

(٢) سورة الطور رقم : ٣٣

بعلم الله و أن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون^١ .

ثم تنازل الى التحدى بسورة من مثله فمعجزوا عنه و هم يعلمون عجزهم
وتقصيرهم عن ذلك ، و أن هذا ما لا سبيل لاحد اليه أبدا .

وقوله تعالى : [و ان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة
من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن
تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين^٢] .
قال الامام ابن كثير رحمه الله .

و مثل هذا التحدى إنما يصدر عن واثق بان ما جاء به لا يمكن للبشر
معارضته و لا الاتيان بمثله ، ولو كان من متقول من عند نفسه لخاف
أن يعارض فينفضح ، ويعود عليه نقيض ما قصده من متابعة الناس له .

و معلوم لكل ذى لب أن محمدا صلى الله عليه و سلم من أعقل
خلق الله ، بل أعقلهم وأكملهم على الإطلاق ، فما كان ليقدم على هذا الأمر
إلا و هو عالم بانه لا يمكن معارضته وهكذا وقع ، فانه من لدن رسول الله
صلى الله عليه و سلم إلى زماننا هذا لم يستطع أحد أن يأتى بنظيره ولا نظير
سورة منه و هذا لا سبيل اليه أبدا .

(١) سورة هود رقم : ١٣-١٤

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٣ و ما بعدها .

بسم الله الرحمن الرحيم

(بيان الاقوال المختلفة في وجوه الاعجاز)

ذكر العلماء في الاعجاز وجوما عديدة : ونحن ازاء هذه العجالة نكتفي
بذكر ثلاثة منها طلبا للاختصار ورعاية لمقتضى الحال .
أحدا : اعجاز ما فيه من الاخبار عن الغيوب المستقبلية .
وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم اليه ، فمن ذلك
ما وعد الله تعالى نبيه عليه السلام ، أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله تعالى
﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره
المشركون ﴾ . ففعل ذلك .
الوجه الثانى :

أنه كان معلوما من حال النبي صلى الله عليه وسلم : أنه كان أميا
لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ .

وكذلك كان معروفا من حاله أنه لم يكن يعرف شيئا من كتب
المتقدمين وأفاضيلهم وأنبيائهم وسيرهم ثم أتى بحمل ما وقع وحدث من
عظيمة الأمور ، ومهمات السير ، من حين خلق آدم عليه السلام إلى حين

(١) سورة التوبة رقم : ٣٣

مبعثه ؛ فذكر في الكتاب الذي جاء به معجزة له قصة آدم عليه السلام وابتداء خلقه وما صار أمره اليه من الخروج من الجنة ثم جملا من أمر ولده وأحواله وتوبته الى غير ذلك من المغيات .

ونحن نعلم علما ضروريا أن هذا بما لا سبيل إليه إلا عن تعلم و اذا كان معروفا أنه لم يكن مغالطالاهل الآثار وحملة الاخبار و لا مترددا الى التعلم منهم ، و لا كان ممن يقرأ فيجوز أن يقع اليه كتاب فيأخذ منه - علم انه لا يصل الى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحي ولذلك قال الله عزوجل : [و ما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذا لارتاب المبطلون^١] . وقال تعالى : [وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست^٢] .

الوجه الثالث :

انه بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناه في البلاغة الى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه .

و قال الزركشى في البرهان : أهل التحقيق على أن الاعجاز وقع بجميع ما سبق من الاقوال لا بكل واحد على انفراد فانه جمع ذلك كله فلا معنى لنسبته الى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك بما لم يسبق فيها الروعة التي له في قلوب السامعين و أسماعهم سواء المقر

(١) سورة العنكبوت رقم : ٤٨

(٢) سورة الانعام رقم : ١٠٥

والجاحد إلى غير ذلك من وجوه إعجاز القرآن .
الخلاصة :

١ - قليل القرآن وكثيره في شان الإعجاز سواء .

٢ - الإعجاز في أسلوب القرآن ونظمه وبيانه وخصائصه الفنية مبينة للمعهود
من خصائص البيان البشرى .

٣ - ما في القرآن الكريم من إخبار بالغيب وحديث عن الماضي بدقائه
وتفصيلاته وإخبار بدخائل النفس وأسرارها وكشف عن حقائق عليية
وكونية ، واحكام في التشريع يضمن مصالح الناس . كل ذلك بمعزل
عن هذا التحدى المفضى الى الإعجاز وان كان دليلا على أنه من عند
الله عز وجل ولكنه لا بد على أن نظمه وبيانه مبين لنظم كلام البشر
وانه بهذه المبانية كلام رب العالمين .

٤ - العرب الذين تحداهم القرآن الكريم هم أئمة البيان والفصاحة ولديهم
القدرة على تمييز ما كان من كلام البشر ، وما ليس من كلامهم .
وقد ادركوا أنهم بالتحدى طولبوا بان يأتوا بمثل هذا الكلام .

٥ - ان هذا التحدى لم يقصد به الاتيان بمثل معاني القرآن ؛ بل قصد
ان يأتوا بما يستطيعون اقتراء واختلافة من كل معنى أو غرض مما يعتلج
في نفوس البشر .

٦ - هذا التحدى مستمر الى يوم القيامة وموجه الى الثقلين أيضا .

٧ - وأخيرا فان العرب الذين نزل عليهم هذا القرآن كانوا يحسون بجماله ويدركون اعجازه . واستمر الامر كذلك جيلين من الناس الى أن داخلت العجمة سواد الناس فافسدت سلاقتهم ، وبدأت العلوم والمعارف الدخيلة تتسرب الى حياتهم ، وقام دجالون مغرضون يريدون تشويه حقيقة الاسلام وكان من هؤلاء [الجعد بن درهم] ثم جاء النظام إبراهيم بن سيار فقال بالصرقة ، ورد عليه الجاحظ في كتابه [نظم القرآن] وقد أكثر المعتزلة من إثارة قضية اعجاز القرآن ، وكذلك فان عددا من علماء أهل السنة المتذوقين لليسان العربي كتبوا في ذلك من امثال الامام عبد القادر الجرجاني^٢ والرازي والزميلكاني .

وقد بقي من الكتب المؤلفة في القرنين الرابع والخامس عن إعجاز القرآن .

كتاب الرماني و هو [النكت في إعجاز القرآن] ومؤلفه هو : علي ابن عيسى الرماني المتوفى ٣٨٤ هـ

وكتاب الخطابي وهو [بيان إعجاز القرآن] ومؤلفه هو : حمد بن محمد المتوفى ٣٨٨ هـ

- (١) هو مبتدع له آراء ضالة وذكره بعضهم في الزنادقة ، قتله خالد بن عبد الله القسري سنة ١١٨ هـ
- (٢) هو الامام الكبير واضع أسس البلاغة و الذواقة عبد القادر الجرجاني المتوفى ٤٧١ هـ .

وكتاب الباقلانى و هو [إعجاز القرآن] ومؤلفه هو أبو بكر محمد بن
الطيب المتوفى ٤٠٣ هـ

هذا و إن ما يتصل بموضوع إعجاز القرآن الكريم وسمو يانه
موضوع ترجمة القرآن. والحق فى هذه المسألة التى كثر الأخذ والرد فيها أنه
تقرر ان ترجمة القرآن أمر مستحيل ، لان أى نص يبلغ تتعذر ترجمته فى
أى لغة من لغات الارض فما القول بالكلام الا الهى المعجز ؟
أما تفسير معانى آياته بنفى اللغة العربية فامر لا مانع منه ، بل انه
واجب ولكنه لا يسمى قرآنا بحال من الاحوال .
واننى وان كنت اطنت القول فى الاعجاز فلائنه أمر وثيق الصلة
بالدعوة الاسلامية وبالدراسات القرآنية .

بسم الله الرحمن الرحيم

(قصص القرآن)

الحادثة المرتبطة بالاسباب والنتائج يهفو اليها السمع . فاذا تخللها مواطن العبرة في أخبار الماضين كان حب الاستطلاع لمعرفة ما جرى من أقوى العوامل على رسوخ عبرتها في النفس وهذا بخلاف الموعظة الخطابية فانها تسرد سردا لا يجمع العقل أطرافها ولا يعي جميع ما يلقي فيها ولكنها حين تأخذ صورة من واقع الحياة في أحداثها تتضح أهدافها ويرتاح المرء لسماعها ويصنى اليها بشوق ولحفة ، ويتأثر بما فيها من عبر وعظات ، وقد أصبح أدب القصة اليوم فنا خاصا من فنون اللغة وآدابها والقصص الصادق يمثل هذا الدور في الأسلوب العربي أقوى تمثيل ، وبصوره في أبلغ صورة قصص . قصص القرآن الكريم :

القصص : تتبع الأثر ، يقال : قصصت أثره : أى تتبعته ، والقصص مصدر قال تعالى : [فارتدا على آثارهما قصصا] . أى رجعا يقصان الأثر الذى جاء به .

وقال تعالى على لسان أم موسى [وقالت لاخته قصيه] . أى تتبعى أثره

(١) سورة الكهف رقم : ٦٤

(٢) سورة القصص رقم : ١١

حتى تنظري من يأخذه .

والقصص كذلك : الأخبار المتبعة .

قال تعالى : [ان هذا هو القصص^١] .

وقال تعالى : [لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب^٢] .

والقصة : الأمر ، والخبر ؛ والشأن ، والحال .

وقصص القرآن : اخباره عن أحوال الأمم الماضية ، والنبوات السابقة والحوادث الواقعة .

وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي وتاريخ الأمم وذكر البلاد والديار . وتتبع آثار كل قوم ؛ وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه .

أنواع القصص في القرآن الكريم

والقصص في القرآن الكريم على ثلاثة أنواع :

النوع الاول :

قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة ، وأشخاص لم تثبت نبوتهم كقصص الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت . وطالوت وجالوت ، وابنى آدم ، وأهل الكهف ، وذى القرنين ، وقارون وأصحاب السبت ؛ ومريم ، وأصحاب

(١) سورة آل عمران رقم : ٦٢

(٢) سورة يوسف رقم : ١١١

الاخود ، واصحاب الفيل وغيرهم .

النوع الثاني :

قصص الانبياء ، وقد تضمن دعوتهم الى قومهم . والمعجزات التي
أيدم الله بها ؛ وموقف المعاندين منهم ، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة
المؤمنين و المكذبين . كقصص نوح ، وإبراهيم وموسى وهارون وعيسى
ومحمد ، وغيرهم من الانبياء والمرسلين ، عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام .
النوع الثالث :

قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم :
كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران ، وغزوة حنين و تبوك في التوبة ،
وغزوة الاحزاب في سورة الاحزاب . والهجرة والاسراء ونحو ذلك .

تكرار قصص القرآن وحكمته

يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرر في غير
موضع ؛ فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن الكريم ، وتعرض في
صور مختلفة في التقديم والتأخير ، والايجاز والاطناب ، وما شابه ذلك .
ومن حكمة هذا :

١ - بيان بلاغة القرآن الكريم في أعلى مراتبها فن خصائص البلاغة ابراز
المعنى الواحد في صور مختلفة ، و القصة المتكررة ترد في كل موضع

باسلوب يميز عن الآخر ، وتصاغ فى قالب غير القالب ، ولا يمل
الانسان من تكرارها بل تتجدد فى نفسه معان لا تحصل له بقراءتها فى
المواضع الأخرى .

٢ - قوة الاعجاز : فإيراد المعنى الواحد فى صور متعددة مع عجز العرب
عن الاتيان بصورة منها أبلغ فى التحدى .

٣ - الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها فى النفس فان التكرار من طرق
التاكيد وامارات الاهتمام . كما هو الحال فى قصة موسى عليه السلام
مع فرعون . لانها تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل مع
أن القصة لا تكرر فى السورة الواحدة مهما كثر تكرارها .

٤ - اختلاف الغاية التى تساق من أجلها القصة فتذكر بعض معانيها الوافية
بالغرض فى مقام ، وتبرز معانى أخرى فى سائر المقامات حسب اختلاف
مقتضيات الاحوال .

أثر القصص القرآنى فى التربية والتهديب

بما لا يدع مجالاً للشك أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع
بشغف - وتنفسند الى النفس البشرية بسهولة ويسر ، وتسترسل مع سياقها

المشاعر فلا تمل ، ويرتاد العقل عناصرها فيجنى من حقولها الازهار والثمار .
والدروس التلقينية والالقاءية تورث الملل ، ولا تستطيع الناشئة أن تتابعها
وتستوعب عناصرها الا بصعوبة بالغة والى أمد قصير . ولذا كان الاسلوب
الفصصى أجدى نفعا ؛ واكثر فائدة ؛ وايسر اسلوبا .

والمعهد - حتى في حياة الاطفال - ان يميل الطفل الى سماع
الحكاية ، ويصغى الى رواية القصة ، وتعى ذكرااته ما يروى له . فيحاكيه
ويقصه . هذه الظاهرة الفطرية النفسية ينبغي لمن يعملون في حقل التعليم
ان يفيدوا منها في مجالات التعليم . لا سيما التهذيب الدينى ، الذى هو لب
التعليم ، وقوام التوجيه فيه . وفي القصص القرآنى تربة خصبة تساعد
المربين على النجاح في مهمتهم ، وتمدهم بيزاد تهذيبى ، من سيرة النبيين ،
واخبار الماضين وسنة الله في حياة المجتمعات ، وأحوال الامم . ولا تقول
في ذلك الا حقا وصدقا . ويستطيع المربي أن يصوغ القصة القرآنية
بالاسلوب الذى يراه ملائما للمستوى الفكرى للتعلمين في شتى نواحي التعليم -
وياحبذا لو نهج الناس هذا المنهج التربوى السليم كما نهجه بعضهم .

فوائد قصص القرآن الكريم

وللقصص القرآنى فوائد عديدة نورد أهمها فيما يأتى :

١ - إيضاح أسس الدعوة الى الله ، وبيان أصول الشرائع التى بعث بها

كل نبى [وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا إله
إلا أنا فاعبدون] ١ .

٢ - تثبيت قلب النبى صلى الله عليه وسلم وقلوب الأمة المحمدية على دين الله
وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده ، وخذلان الباطل واعوانه .
[وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى
هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين] ٢ .

٣ - تصديق الأنبياء السابقين واحياء ذكراهم وتخليد آثارهم .

٤ - اظهار صدق النبى صلى الله عليه وسلم فى دعوته بما أخبر به عن أحوال
الماضين عبر القرون والاجيال .

٥ - مقارنته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى ، وتحديه
لهم بما كان فى كتبهم قبل التحريف والتبديل كقوله تعالى [كل الطعام
كان حلالا لبني إسرائيل الا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل
التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين] ٢ .

٦ - والقصص ضرب من ضروب الادب ؛ يصغى اليه السمع ، وترسخ
عبره فى النفس ، [لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب] ١ .

(١) سورة الانبياء رقم : ٢٥

(٢) سورة هود رقم : ١٢٠

(٣) سورة آل عمران رقم : ٩٣

(٤) سورة يوسف رقم : ١١١

بسم الله الرحمن الرحيم

(أمثال القرآن)

الحقائق السامية في معانيها وأهدافها تأخذ صورتها الرائعة إذا صبغت في قالب حسن يقربها الى الأفهام بقياسها على المعلوم اليقيني ، والتثيل هو القالب الذي يبرز المعاني في صورة خيعة تستقر في الاذمان ، وذلك مثل تشبيه الغائب بالحاضر ، والمعقول بالمحسوس ، وقياس النظير على النظير ، وكم من معنى جميل أكسبه التمثيل روعة وجمالا ، فكان ذلك أدعى لتقبل النفس له ؛ واقتناع العقل به ، وهو من أساليب القرآن الكريم في ضروب بيانه ونواحي إعجازه .

ومن العلماء من أفرد الامثال في القرآن بالتأليف ، ومنهم من عقد لها بابا في كتاب من كتبه ؛ فأفردا بالتأليف - أبو الحسن الماوردي . وعقد لها بابا السيوطي في الاتقان ، وابن القيم في كتاب اعلام الموقعين حيث تتبع أمثال القرآن التي تضمنت تشبيه الشيء بنظيره ، والتسوية بينهما في الحكم - فبلغت بضعة وأربعين مثلا .

(١) هو ابو الحسن علي بن حبيب الشافعي : صاحب كتاب أدب الدنيا والدين

و كتاب الاحكام السلطانية - ت ٤٥٠ هـ .

وقد أخبرنا الله تعالى بضرب الامثال في القرآن الكريم : فقال جل شأنه [ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون^١]
وقال تعالى : وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون^٢ .
وقال تعالى : [وتلك الامثال نضربها للناس لعلمهم يتفكرون^٣] .

و اخرج الديهقي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ان القرآن نزل على خمسة أوجه (١) حلال ، (٢) وحرام ، (٣) ومحكم ، (٤) ومتشابه ، (٥) وامثال ، فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام ، واتبعوا المحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالامثال] .

قال الماوردي : من أعظم علم القرآن علم امثاله والناس في غفلة عنه لاشتغالهم بالامثال واغفالهم الممثلات ، والمثل بلا مثل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام . وقد عده الشافعي مما يجب على المجتهد معرفته من [علوم القرآن] فقال : ثم معرفة ما ضرب فيه من الامثال الدوال على طاعته ، المينة لاجتناب ممصيته ، وترك الغفلة عن الحفظ والازدياد من نوافل الفضل .

وقال الشيخ عز الدين : انما ضرب الله الامثال في القرآن تذكيرا وعظا

(١) سورة الزمر رقم : ٢٧

(٢) سورة العنكبوت رقم : ٤٣

(٣) سورة الحشر رقم : ٢١

فما اشتمل منها على تفاوت ثواب أو على إحباط عمل أو على مدح أو ذم أو نحوه فانه يدل على الاحكام . وقال غيره : ضرب الامثال فى القرآن يستفاد منه أمور كثيرة : التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقريب وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس ، فان الامثال تصور المعانى بصورة الاشخاص لانها أثبت فى الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس ، ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفى بالجلي والغائب بالمشاهد ؛ وتأتى امثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر ، وعلى المدح والذم ، وعلى الثواب والعقاب ؛ وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره ، وعلى تحقيق أمر أو ابطاله .

قال تعالى : [وضربنا لكم الأمثال] . فامتن علينا بذلك لما تضمنه

من الفوائد .

قال الزركشى فى البرهان : ومن حكمته تعليم البيان وهو من

خصائص هذه الشريعة .

وقال الزمخشري : التمثيل انما يصار اليه لكشف المعانى وادناء

المتوهم من المشاهد ، فان كان الممثل له عظيما كان الممثل به مثله وان كان حقيرا كان الممثل به كذلك .

وقال الأصهبانى : لضرب العرب الامثال واستحضار العلماء النظائر شأن

ليس بالخفى فى ابراز خفيات الدقائق ورفع الاستار عن الحقائق ، تربك المتخيل فى صورة المتحقق ، والمتوهم فى معرض المتيقن ، والغائب كانه مشاهد

وفي ضرب الامثال تبيكت للخصم الشديد الخصومة ، وفيه أيضا من تقرير المقصود ما لا يخفى فانه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر وصف الشيء في نفسه ولذلك أكثر الله تعالى في كتابه وفي سائر كتبه « الامثال » ومن سور الانجيل سورة تسمى « الامثال » وفشت في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكلام الانبياء والحكما

تعريف الأمثال

الامثال : جمع مثل ، والمثل والمثل والمثيل : كالشبه والشبه والشيء لفظا ومعنى . والمراد به هنا ابراز المعنى في صورة حسية تكسبه روعة وجمالا . والمثل بهذا المعنى لا يشترط أن يكون له مورد ، كما لا يشترط أن يكون مجازا مركبا .

واذا نظرنا الى امثال القرآن التي يذكرها المؤلفون وجدنا أنهم يوردون الآيات المشتملة على تمثيل حال أمر بحال أمر آخر ؛ سواء أورد هذا التمثيل بطريق الاستعارة ، أم بطريق التشبيه الصريح ؟ أو الآيات الدالة على معنى رائع بامجاز ، أو التي يصح استعمالها فيما يشبه ما وردت فيه فان الله تعالى ابتدأها دون أن يكون لها مورد من قبل .

فامثال القرآن لا يستقيم حلها على أصل المعنى اللغوي الذي هو التشبه والنظير ؛ ولا يجوز حلها على ما يذكر في كتب اللغة لدى من ألفوا

في الامثال . اذ ليست امثال القرآن اقوالا استعملت على وجه تشبيه مضربها بموردها ، كما لا يستقيم حملها على معنى الامثال عند علماء البيان فن امثال القرآن ما ليس باستعارة وما لم يفش استعماله .

قابن القيم يقول في امثال القرآن : تشبيه شئ بشئ في حكمه ، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار احدهما بالآخر . ويسوق الأمثلة : فنجد اكثرما على طريقة التشبيه الصريح كقوله تعالى : [إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء] .

و في الحديث الصحيح [ان مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها طائفة أمسكت الماء فشرب الناس واستبقوا وزرعوا وكانت منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأ ، وذلك مثل من فقه في دين الله فنفعه ما بعثنى الله به من الهدى والعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسه ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به .

ومنها ما يحى على طريقة التشبيه الضمنى ، كقوله تعالى : [ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب احدهم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه] . اذ ليس فيه تشبيه صريح .

ومنها ما لم يشتمل على تشبيه ولا استعارة كقوله تعالى : [يا أيها الناس

(١) سورة يونس رقم : ٢٤

(٢) سورة الحجرات رقم : ١٢

ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له و ان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب^[١] .

فقوله تعالى : [ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا] قد سماه الله مثالا وليس فيه استعارة ولا تشبيه .

و اما المثل فى الأدب : فهو قول محكى سائر يقصد به تشبيه حال الذى حكى فيه بحال الذى قيل لأجله ، أى يشبه مضربه بمورده ، مثل [رب رمية من غير رام] أى رب مصيبة حصلت من رام شأنه أن يخطئ . وأول من قال هذا الحكم بن يغوث النقرى ؛ يضرب للخطئ . يصيب أحيانا وعلى هذا فلا بد له من مورد يشبه مضربه به .

ويطلق المثل على الحال والقصة العجيبة الشأن ، و بهذا المعنى فسر لفظ المثل فى كثير من الآيات كقوله تعالى : [مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن^[٢] أى قصتها وصفتها التى يتعجب منها .

و أشار الزمخشري الى هذه المعانى الثلاثة فى كشفه فقال : [و المثل فى أصل كلامهم بمعنى المثل والنظير ، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ، ثم قال : وقد استعير المثل للحال أو القصة أو الصفة اذا كان

(١) سورة الحج رقم : ٧٣

(٢) سورة محمد رقم : ١٥

لها شأن وفيها غرابة .

ومناك معنى رابع ذهب اليه علماء البيان في تعريف المثل فهو عديم
المجاز المركب الذي تكون علاقته المشابهة متى فشا استعماله .

وأصله الاستعارة التمثيلية كقولك للتردد في فعل أمر : [مالى أراك
تقدم رجلا وتؤخر أخرى] .

أنواع الامثال في القرآن

الامثال في القرآن ثلاثة أنواع : ١ - الامثال المصروفة .

٢ - والامثال الكامنة . ٣ - والامثال المرسلة .

النوع الاول : الامثال المصروفة : وهي ما صرح فيها بلفظ المثل
أو ما يدل على التشبيه . وهي كثيرة في القرآن على سبيل المثال لا الحصر
نورد منها ما يأتي :

الف - قوله تعالى في شأن المنافقين [مثلهم كمثل الذي استوقد نارا
فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم
بكم عى فهم لا يرجعون . او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق -
إلى قوله - ان الله على كل شيء قدير] .

ففي هذه الآيات ضرب الله للمنافقين مثلين : مثلاً نارياً في قوله :

[كثل الذى استوقد ناراً -] لما فى النار من مادة النور و مثلاً ماثياً فى قوله
[أو كصيب من السماء . . .] لما فى الماء من مادة الحياة وقد نزل الوحي من
السماء متضمناً لاستنارة القلوب وحياتها - وذكر الله حظ المناققين فى الحاليتين -
فهم بمنزلة من استوقد ناراً للاضاءة و النفع حيث انتفعوا مادياً بالدخول
فى الاسلام ولكن لم يكن له أثر نورى فى قلوبهم فذهب الله بما فى
النار من الاضاءة [ذهب الله بنورهم] وبقى ما فيها من الاحراق و هذا مثلهم
النارى و ذكر مثلهم المائى فشبههم بحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق
نفثت قواه و وضع اصبعيه فى اذنيه و غمض عينيه خوفاً من صاعقة تصيبه
لان القرآن بزواجره و نواحيه و خطابه نزل عليهم نزول الصواعق .

ب - و ذكر الله المثلين : المائى و النارى - فى سورة الرعد للحق
والباطل فقال تعالى [أنزل من السماء ماء فسمالت أودية بقدرها فاحتمل السيل
زبداً راياً و بما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك
يضرب الله الحق و الباطل ، فاما الزبد فيذهب جفاءً و اما ما ينفع الناس فمكث
فى الارض كذلك يضرب الله الامثال^١] شبه الوحي الذى أنزله من السماء
لحياة القلوب بالماء الذى أنزله لحياة الارض بالنبات ؛ و شبه القلوب بالأودية
و السيل اذا جرى فى الاودية احتمل زبداً و غشاً فكذلك الهدى و العلم اذا
سرى فى القلوب اثار ما فيها من الشهوات ليذهب بها ، و هذا هو المثل

الماتى في قوله [أنزل من السماء ماء] وهكذا يضرب الله الحق والباطل .

وذكر المثل النارى في قوله [وما يوقدون عليه في النار] فالمعادن من ذهب أو فضة أو نحاس أو حديد عند سبكها تخرج النار ما فيها من الخبث وتفصله عن الجوهر الذى يتففع به فيذهب جفاً . فكذلك الشهوات يطرحها قلب المؤمن ويجفوما كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد وهذا الخبث .

النوع الثانى : من الامثال : الامثال الكامنة - وهى التى لم يصرح فيها بلفظ المثل ؛ ولكنها تدل على معان رائعة فى ايجاز ، يكون لها وقعها اذا نقلت الى ما يشبهها ، ويمثلون لهذا النوع بامثلة منها .

١ - ما فى معنى قولهم [خير الامور أوسطها] .

الف - قوله تعالى : [لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك^١] .

ب - قوله تعالى : فى النفقة [والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً^٢] .

ج - قوله تعالى فى الصلاة : [ولا تجهروا أصواتكم ولا تخافتن بها وابتغ بين ذلك سبيلاً^٣] .

د - قوله تعالى فى الاتفاق : [ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك

(١) سورة البقرة رقم : ٦٨

(٢) سورة الفرقان رقم : ٦٧

(٣) سورة الاسراء رقم : ١١٠

- ولا تبسطها كل البسط^١]
- ٢ - ما في معنى قولهم [ليس الخبير كالبيان]
- قوله تعالى في إبراهيم عليه السلام [قال أو لم تؤمن قال بلى
ولكن ليطمئن قلبي^٢]
- ٣ - ما في معنى قولهم [كما تدين تدان]
- قوله تعالى : [من يعمل سوءا يجز به^٣]
- ٤ - ما في معنى [لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين]
- قوله تعالى بلسان يعقوب [قال هل آمنكم عليه إلا كما أمّكم على أخيه
من قبل^٤]
- النوع الثالث : الامثال المرسلة في القرآن الكريم : وهي جمل أرسلت
ارسالاً من غير تصريح بلفظ التشبيه . فهي آيات جارية مجرى الامثال .
و من أمثلة ذلك ما يأتي :
- ١ - [الآن حصحص الحق^٥]
- ٢ - [ليس لها من دون الله كاشفة^٦]

(١) سورة الاسراء رقم : ٢٩

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٦٠

(٣) سورة النساء رقم : ١٢٣

(٤) سورة يوسف رقم : ٦٤

(٥) سورة يوسف رقم : ٥١

(٦) سورة النجم رقم : ٥٨

- ٣ - [قضى الامر الذى فيه تستفتيان^١]
- ٤ - [اليس الصبح بقريب^٢]
- ٥ - [لكل نبا مستقر^٣]
- ٦ - [ولا يحيق المكر السبي الا باهله^٤]
- ٧ - [قل كل يعمل على شاكلته^٥]
- ٨ - [وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم^٦]
- ٩ - [كل نفس بما كسبت رهينة^٧]
- ١٠ - [هل جزاء الاحسان الا الاحسان^٨]
- ١١ - [كل حزب بما لديهم فرحون^٩]
- ١٢ - [ضعف الطالب و المطلوب^{١٠}]

(١) سورة يوسف رقم : ٤١

(٢) سورة هود رقم : ٥٨

(٣) سورة الانعام رقم : ٦٧

(٤) سورة فاطر رقم : ٤٣

(٥) سورة الاسراء رقم : ٨٤

(٦) سورة البقرة رقم : ٢١٥

(٧) سورة المدثر رقم : ٣٨

(٨) سورة الرحمن رقم : ٦٠

(٩) سورة المؤمنون رقم : ٥٣

(١٠) سورة الحج رقم : ٧٣

- ١٣ - [مثل هذا فليعمل العاملون^١]
- ١٤ - [لا يستوى الخبيث والطيب^٢]
- ١٥ - [كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله^٣]
- ١٦ - [تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى^٤]

واختلفوا في هذا النوع من الآيات الذي يسمونه ارسال المثل ، ما حكم استعماله استعمال الامثال ؟ فآه بعض أهل العلم خروجا عن أدب القرآن . قال الرازى في تفسير قوله تعالى [لكم دينكم ولى دين] جرت عادة الناس بان يتمثلوا بهذه الآية عند التاركة وذلك غير جائز لانه تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به ، بل يتدبر فيه ، ثم يعمل بموجبه .

ورأى آخرون أنه لا حرج فيما يظهر أن يتمثل الرجل بالقرآن في مقام الجد كان يأسف أسفا شديدا لنزول كارثة قد تقطعت أسباب كشفها عن الناس فيقول : [ليس لها من دون الله كاشفة] أو يحاوره صاحب مذهب فاسد يحاول استهواه إلى باطله فيقول [لكم دينكم ولى دين] والاثم الكبير في أن يقصد الرجل إلى التظاهر بالبراعة فيتمثل بالقرآن حتى في مقام الهزل والمزاح .

(١) سورة الصافات رقم : ٦١

(٢) سورة المائدة رقم : ١٠٠

(٣) سورة البقرة رقم : ٢٤٩

(٤) سورة الحشر رقم : ١٤

فوائد الامثال

- ١ - الأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلبسه الناس ، فيقبله العقل لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن الا اذا صيغت في صورة حسية قريبة الفهم كما ضرب الله مثلا لحال المنفق رياء حيث لا يحصل من اتقاه على شيء من الثواب ؛ فقال تعالى [فثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدررون على شيء مما كسبوا] .
- ٢ - وتكشف الأمثال عن الحقائق وتعرض الغائب في معرض الحاضر كقوله تعالى [الذين ياكلون الربا لا يقومون] الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس^٢ .
- ٣ - وتجمع الأمثال المعنى الرائع في عبارة موجزة كالامثال الكامنة والامثال المرسلة في الآيات الآتفة الذكر .
- ٤ - و يضرب المثل للترغيب في الممثل حيث يكون الممثل به مما ترغب فيه النفوس كما ضرب الله مثلا لحال المنفق في سبيل الله حيث يعود عليه الاتفاق بخير كثير فقال تعالى : [مثل الذين يتفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف

(١) سورة البقرة رقم : ٢٦٤

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٧٥

لمن يشاء والله واسع عليم^[١] .

٥ - ويضرب المثل للتفكير حيث يكون الممثل به مما تكرمه النفوس كقوله تعالى في النهي عن الغيبة [ولا يغتب بعضكم بعضا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه^[٢]] .

٦ - ويضرب المثل للمدح الممثل كقوله تعالى في الصحابة [ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه فأزره فاستغلاظ فاستوى على سواه يعجب الزراع ليغيب بهم الكفار^[٣]] وكذلك حال الصحابة فانهم كانوا في بدء الامر قليلا ، ثم أخذوا في النمو حتى استحکم أمرهم وامتلات قلوب اعجابا بعظمتهم .

٧ - ويضرب المثل حيث يكون للمثل به صفة يستعجبها الناس ، كما ضرب الله مثلا لحال من آتاه الله الكتاب ، فتتكب الطريق عن العمل به ، وانحدروا في الدنيا منغمسا فقال تعالى : [واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد إلى الارض واتبع هواه فثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا] .

(١) سورة البقرة رقم : ٢٦١

(٢) سورة الحجرات رقم : ١٢

(٣) سورة الفتح رقم : ٢٩

(٤) سورة الاعراف رقم : ١٧٥-١٧٦

٨ - والامثال أوقع في النفس ، وأبلغ في الوعظ ، وأقوى في الزجر ؛
وأقوم في الاقتناع ، وقد أكثر الله تعالى الامثال في القرآن الكريم
للتذكيرة والعظة وقد بسطنا القول في ذلك .

وضربها النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه ، واستعان بها الداعون
الى الله في كل عصر لنصرة الحق واقامة الحجة ويستعين بها المربون ،
ويتخذونها من وسائل المايضاح والتشويق ، و وسائل الترية في الترغيب
أو التفير في المدح أو الذم ، الى غير ذلك مما تقدم بيانه .

انتهى بتصرف .

هذا والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

علم الرسم القرآني

اتبعت اللجنة الرابعة في استنساخ مصاحف الامصار على عهد عثمان رضي الله عنه طريقة خاصة ارتضاها هذا الخليفة في كتابة كلمات القرآن الكريم وحروفه . وقد اصطلح العلماء على تسمية هذه الطريقة [برسم المصحف] وكثيرا ما ينسبون هذا الرسم الى الخليفة الذي ارتضاه فيقولون : رسم عثمان أو [الرسم العثماني] وكان لا بد أن يحاط هذا الرسم بهالة من الاجلال والتقدير فالخليفة الذي ارتضاه ووضعه موضع التنفيذ شهيد عظيم لقي مصرعه وهو يتلو كتاب الله خاشعا متبتلا .

الأصل في المكتوب أن يكون موافقا تمام الموافقة للنطق ، من غير زيادة ولا نقص ، ولا تبديل ولا تغيير . ولكن المصاحف العثمانية قد أهمل فيها هذا الأصل ، فوجدت بها حروف كثيرة جاء رسمها مخالفا لأداء النطق وذلك لاغراض شريفة ظهرت وتظهر لك فيما بعد . ولم يكن ذلك منهم كيفما اتفق ، بل على أمر عندهم قد تحقق ، وجب الاعتناء به والوقوف على سببه وقد عنى العلماء بالكلام على رسم القرآن وحصر تلك الكلمات التي جاء

خطها على غير مقياس لفظها - وقد أفردّه بالتصنيف خلائق من المتقدمين والمتأخرين ، منهم الامام أبو عمرو الداني إذ ألف فيه كتابه المسمى [المقنع] ومنهم العلامة أبو عباس المراكشي إذ ألف كتاباً أسماه [عنوان الدليل في رسوم خط التنزيل] .

ومنهم الشيخ محمد بن أحمد الشيرازي بالتولى إذ نظم أرجوزة سماها [الؤلؤ المنظوم في ذكر جملة من الرسوم] الى غير ذلك .
قال ابن درستويه : خطان لا يقاس عليهما خط المصحف وخط تقطيع العروض .

ومن هذا المنطلق يتبين لنا أن الخط ثلاثة أقسام :

- ١ - خط يتبع به الاقتداء السابق ، وهو رسم المصحف .
 - ٢ - وخط جرى على ما أثبتته اللفظ واسقاط ما حذفه وهو خط العروض فيكتبون التنوين ويحذفون همزة الوصل .
 - ٣ - وخط جرى على العادة المعروفة ، وهو الذي يتكلم عليه النحوي .
- وقال الفارسي :

لما عمل أبو بكر بن السراج كتاب الخط والهجا. قال لي : أكتب كتاباً هذا قلت له : نعم إلا أتي أخذ بآخر حرف منه ، قال : وما هو ؟ قلت : قوله : [ومن عرف صواب اللفظ عرف صواب الخطأ] .
قال أبو الحسين بن فارس في كتاب فقه اللغة : [يروى أن أول من كتب

الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة كتبها في طين وطبخه : فلما أصاب الأرض الفرق وجد كل قوم كتابا فكتبوه ، فاصاب إسماعيل الكتاب العربي .

وكان ابن عباس يقول : أول من وضع الكتاب العربي إسماعيل عليه السلام قال : والروايات في هذا الباب كثيرة ومختلفة ؛ وقال ابن فارس : الذي نقوله أن الخط توقفي لقوله تعالى [علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم] وقال : [ن والقلم وما يسطرون] .

وأن هذه الحروف داخلة في الأسماء التي علم الله آدم عليه السلام ، وقد ورد أمر أبي جاد ومبتدأ الكتابة أخبار كثيرة ليس هذا محلها ، وقد بسطت في تأليف مستقل .

وزعم قوم أن العرب العاربة لم تعرف هذه الحروف باسمائها ، وانهم لم يعرفوا نحوها ولا اعرابا ولا رفعا ولا نصبا ولا همزا .

(١) قالوا ، و الدليل على ذلك ما حكاه بعضهم عن بعض الاعراب أنه قيل له : أنهمز اسرائيل ؟ فقال : انى اذن لرجل سوء ، قالوا : وانما قال ذلك لانه لم يعرف من الهمز الا الضغط والعصر . وقيل لآخر : أتجر فلسطين ؟ فقال انى اذن لقوى . قالوا : وسمع بعض فصحاء العرب ينشد :
(نحن بنى علقمة الاخيارا)

فقيل له : نصبت (بنى) فقال : ما نصبته . وذلك أنه لم يعرف من النصب =

قال : وما اشتهر أن أبا الأسود أول من وضع العربية وأن الخليل أول من وضع العروض فلا ننكره ؛ وإنما نقول : [إن هذين العلمين كانا قديما وأتت عليهما الايام ، وقلا في ايدي الناس ، ثم جددهما هذان الامامان] .

ومن الدليل على عرفان القدماء [من الصحابة وغيرهم] ذلك كتابتهم المصحف على الذي يعلمه الجويون في ذوات اليا و الواو و الهمز و المد ، والقصر .

فكتبوا ذوات اليا باليا و ذوات الواو بالواو ، ولم يصوروا الهمزة اذا كان ما قبلها ساكنا ، نحو [الخبء] و [الدفء] و [الماء] فصار ذلك [كله] حجة ، وحتى كره بعض العلماء ترك اتباع المصاحف .

وأسند الى القراء قال : إتباع المصحف إذا وجدت له وجهها من كلام العرب وقراءة القراء أحب الى من خلافه .

وقال أشهب : سئل مالك رحمه الله : هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ، الا على الكتابة الاولى . رواه

الا اسناد الشيء . قالوا : وحكى الاخفش عن أعرابي فصيح أنه سئل أن ينشد قصيدة على الدال فقال : وما الدال ؟ وحكى أن أبا حية النيرى سئل ان ينشد قصيدة على الكاف فقال :

كفى بالناس من أسماء كاف وليس لسقمها اذ طال شاف

أبو عمرو الداني في المقتنع ثم قال : ولا يخالف له من علماء الأمة .
 وقال في موضع آخر : سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل
 الواو والالف أن ترى أن تغير من المصحف اذا وجد فيه كذلك ؟ فقال :
 لا . قال أبو عمرو : يعنى الواو والالف المزيدين في الرسم لمعنى المعدومتين
 في اللفظ نحو الواو في [اولوا الالباب] [وأولات] و [الربوا] ونحوه
 وقال الامام أحمد رحمه الله : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء
 أو واو أو ألف أو غير ذلك .

قلت : وكان هذا في الصدر الاول والعلم حى غض واما الان
 فقد يخشى الالتباس ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : لا تجوز كتابة
 المصحف الآن على الرسوم الاولى باصطلاح الأئمة لثلا يوقع في تغير من
 الجهال ولكن لا ينبغي اجراء هذا على إطلاقه لثلا يؤدى الى دروس العلم
 وشى . أحكمته القدماء لا يترك مراعاته لجهل الجاهلين ولن تخلو الأرض من
 قائم لله بالحجة . وقد قال البيهقي في شعب الايمان : من كتب مصحفا فينبغى
 أن يحافظ على حروف الهجاء التى كتبوا بها تلك المصاحف ، ولا يخالفهم
 فيها ولا يغير مما كتبوه شيئا فانهم أكثر علما وأصدق قلبا ولسانا وأعظم أمانة
 منا فلا ينبغى أن نطعن بأنفسنا استدراكا عليهم . و روى بسنده عن زيد
 قال : القراءة سنة . قال سليمان بن داود الهاشمي : يعنى ألا تخالف الناس
 برأيك في الاتباع .

قال : وبمعناه بلغنى عن أبي عبيد في تفسير ذلك : وترى القراء

لم يلتفتوا الى مذهب العربية في القراءة اذا خالف ذلك خط المصحف . واتباع حروف المصاحف عندنا كالسنن القائمة التي لا يجوز لاحد ان يتعداها .

قواعد رسم المصحف

وللمصحف العثماني قواعد في خطه ورسمه ، حصرها علماء الفن في ست قواعد هي : [١] الحذف [٢] والزيادة [٣] والهمز [٤] والبذل [٥] والفصل والوصل [٦] وما فيه قراءتان فقرئ على احدهما -

[القاعدة الأولى في الحذف] تحذف الألف من يا النداء نحو : يا أيها الناس ويا آدم . ويا رب ، يا عباد . وما التنبيه نحو : هؤلاء ، ما أنتم . ونامع ضمير نحو أنجبناكم وآتيناه . ومن ذلك ، وأولئك ولكن وتبارك وفروع الأربعة والله وإله كيف وقع والرحمن وسبحان كيف وقع الأقل سبحان ربى وبعد لام نحو : خلافت خلاف رسول الله ، سلام ، غلام ، إيلاف ، يلاقوا . وبين لامين نحو : الكلالة ، الضلالة ؛ خلال الديار ، للذي بيكة . ومن كل علم زائد على ثلاثة : كإبراهيم وصالح وميكائيل الأجالوت وهامان وأجوج ومأجوج وداود لحذف واو واسرائيل لحذف يائه . واختلف في هاروت وماروت وقارون . ومن كل مثنى اسم أو فعل ان لم يتطرف نحو : رجلان ، يعلمان ، أضلانا ، ان هذان ، الا بما قدمت يداك . ومن كل جمع تصحيح لمذكر كان أو مؤنث نحو : اللاعنون ملاقوا ربهم ، الا طاعون في الذاريات

والطور ، وكراما كاتبين ، والا روضات في شوري ، وآيات للسائلين ، ومكر
في آياتنا وآياتنا بينات في يونس ؛ والا ان تلاها همزة نحو الصائمين والصائمات
أو تشديد نحو ، الضالين والضاغات فان كان في الكلمة ألف ثانية حذفت أيضا
الا سبع سموات في فصلت . ومن كل جمع على مفاعل أو شبهه نحو :
المساجد ومساجن ، واليتامى ، والنصارى ، والمساكين ؛ والخبائث والملائكة ،
والثانية من خطايا كيف وقع و من كل عدد نحو ثلاث ، وساحر الا في آخر
الذاريات فان ثنى فالفاء ، والقيامة ، وشيطان وسطان ، و تعالى ، واللاقى ،
واللاقى ، وخلاق ، وعالم ، وبقادر ، والاصحاب ، والانهار ، والكتابة .

ومكر الثلاثة إلا اربعة مواضع : لكل أجل كتاب ، كتاب معلوم ،
كتاب ربك في الكهف ، وكتاب مبين في النحل .

ومن البسمة بسم الله مجراها ، ومن أول الامر من سأل .

ومن كل ما اجتمع فيه ألفان أو ثلاثة نحو : آدم ، آخر ، أشفقتم ،
أأنذرتهم ، غناء ، ومن وراء كيف وقع ؛ الا ما رأى ، ولقد رأى في
النجم ، والا نأى ، والآن ، الا فن يستمع الآن ، والألفان من الأيكة ،
الا في الحجر و ق .

وتحذف الياء من كل مقوص متون رفعا وجرا نحو : باغ ولا عاد .
والمضاف لها إذا نودى الا يا عبادى الذين أسرفوا ، يا عبادى الذين آمنوا في
العنكبوت ، أو لم يناد ، الا قل لعبادى ، أسر بعبادى في طه وحم ، فادخل

في عبادى وادخل جتى . ومع مثلها نحو : ولي ، والحواريين ، ومتكئين ،
إلا عليين ، ويهى ، وهى ، ومكر السيى ، وسبئة ، والسبئة ، أفعينا ، ويحى
مع ضمير لا مفردا ، وحيث وقع أطيعون ، اتقون ، خافون ، ارمبون ،
فارسلون ، واعبدون ؛ إلا فى يس واخشون ، إلا فى البقرة وكيدون ،
إلا فكيدون جميعا ؛ واتبعون إلا فى آل عمران وطه ، ولا تنظرون ،
ولا تستعجلون ، ولا تكفرون ، ولا تقربون ، ولا تخزون ، ولا تفضحون ،
ويهدين ، وسيهدين ، وكذبون ، ويقتلون ، أن يكذبون ، ووعيدى ،
والجوار ؛ وبالوادى والمهتدى ، إلا فى الاعراف .

وتحذف الواو إذا وقعت مع واو أخرى فى نحو لا يستوون
فاووا ، وإذا المؤودة ، يؤوسا . وتحذف اللام إذا كانت مدغمة فى مثلها
نحو الليل ، والذى ، إلا الله ، واللهم ؛ واللغة وفروعه ، واللهو ؛ واللغو ،
واللؤلؤ واللات ، واللم ، واللهب ، واللطيف ؛ واللواة .

[فرع] فى الحذف الذى لم يدخل تحت القاعدة . حذف الألف
من مالك الملك ، ذرية ضعافا ، مراغما ، خادعهم ، أكالون للسحت ، بالغ ،
ليجادلوكم ، وباطل ما كانوا فى الاعراف وهود ، الميعاد فى الاقوال ، ترابا
فى الرعد والنمل ، وعم : جذاذ ، يسارعون ، أية المؤمنون ؛ أيه الساحر
أيه الثقلان ، أم موسى فارغا ، وهل نجازى ؛ من هو كاذب ؛ للقاسية ، فى
الزمر ، عاهد عليه الله ، ولا كذابا .

وحذف الياء من إبراهيم في البقرة ، والداع إذا دعان ؛ ومن
 اتبعن ، وسوف يؤت الله ، وقد هذان ؛ ننج المؤمنين ؛ فلا تسالن ما ؛
 يوم يات لا تكلم ، حتى تؤتون موثقا ، تفندون ، المتعال ؛ متاب ؛ مأب ،
 عقاب ، في الرعد وغافر ، وفيها عذاب ، أشركتمون من قبل ، وتقبل دعاء ؛
 لئن أخرتن ، أن يهدين ، ان ترن ، أن يؤتين ، أن تعلمن ، ننج ، الخمسة
 في الكهف ، أن لا تتبعن في طه . والباد ، و ان الله هاد ، أن يحضرون ؛ رب
 ارجعون ، يسقين ، يشفين ، يحيين ، واد النمل ، أتمدون ، فما آتآن ، تشهدون ،
 بهاد العمى ، كالجواب ؛ ان يردن الرحمن ، لا ينقذون ، واسمعون ، لتردين ،
 صال الجحيم ، التلاق ؛ التناد ، ترجون ، فاعتزلون ، يناد المنادى ، ليعبدون ،
 يطعمون ، تعن ، الداع ، مرتين في القمر يسر ، أكرهن ، ولى دين .

وحذف الواو من : ويدع الانسان ، ويمح الله في الشورى ؛ يوم
 يدع الداع ، سندع الزبانية .

قال المراكشي :

والسر في حذفها من هذه الأربعة التنبيه على سرعة وقوع الفعل
 وسهولته على الفاعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود ، وأما - ويدع
 الانسان - فيدل على انه سهل عليه ويسارع فيه كما يسارع في الخير ، بل
 اثبات الشر اليه من جهة ذاته أقرب اليه من الخير . وأما - ويمح الله
 الباطل - فللاشارة الى سرعة ذهابه واضمحلاله ، وأما - يدع الداع - فللاشارة

الى سرعة الدعاء وسرعة اجابة الداعين ، وأما الاخيرة فللاشارة الى سرعة الفعل ، و اجابة الزبانية وقوة البطش .

[القاعدة الثانية في الزيادة]

تزداد الألف بعد الواو في آخر كل اسم بمجموع او في حكمة ، نحو :
[ملاقوا ربهم ، بنو إسرائيل ، أولو الاباب . و بعد الهمزة المرسومة
واوا نحو [تالله تفتوا] وفي كلمات مائة ومائتين ، والظنونا ، والرسولا ،
و السيلا ، في قوله تعالى : [وتظنون بالله الظنونا] [وأطعنا الرسولا]
[فاضلونا السيلا] .

وتزداد الياء في [من نبأى المرسلين] و [ملائهم] و [من آناى الليل]
في طه ، [من تلقائى نفسى ، من وراء حجاب] في الشورى [وايتأى ذى القربى]
في النحل ، [ولقأى الآخرة] في الروم ، [بأبيكم المفتون بيتاها باييد ، أفأئن
مات ، أفأئن مت] .

وتزداد الواو في نحو [أولو ، أولئك ، أولاء ، أولات ، سأوريكم] .

قال المراكشى :

و انما زيدت هذه الاحرف في هذه الكلمات للتحويل والتفخيم والتهديد
والوعيد ؛ كما زيدت في [باييد] تعظيم لقوة الله تعالى التى بنى بها السماء
التي لا تشابها قوة ، وقال الكرماني في العجائب : كانت صورة الفتحة

في الخطوط قبل الخط العربي ألفا ، وصورة الضمة واوا ، وصورة الكسرة ياء ، فكتبت لا أوضعوا ونحوه بالالف مكان الفتحة ؛ وابتلى ذى القربى بالياء مكان الكسرة ، وأولئك ونحوه بالواو مكان الضمة لقرب عهدهم بالخط الأول .

القاعدة الثالثة : في الهمز

ان الهمزة إذا كانت ساكنة تكتب بحرف حركة ما قبلها . أولا أو وسطا أو آخرنا نحو : إيدن ، وأوتن ، والباساء ، وأقرأ ، وجئنك ، ومهي ، والمؤتون ، وتسوؤهم إلا فادارأتم ، وريا ، والرياء ، وشطنه ، نخذف فيها . وكذا أول الأمر بعد فاء نحو فاتوا ، أو واو نحو : وأتمروا . والمتحرك ان كان أولا أو اتصل به حرف زائد بالالف مطلقا : أى سواء كان فتحة أو ضمنا أو كسرا نحو : أيوب إذا ، أولوا ، ساصرف ، فباى ، سائل ، إلا مواضع ، أنكم لتكفرون ، أننا لنخرجون فى النمل ، أننا لنأركوا الهتنا ، أن لنا فى الشعراء ، أنذا متنا ، أن ذكرتم ، أنفكا ، أئمة ، لئلا ، لئن ، يومئذ فيكتب فيها بالياء ، قل أونبكم ، ومؤلا فكتب بالواو . وان كان وسطا فبحرف حركته نحو سال ، سئل ، تقرأه ، إلا جزاءه الثلاثة فى يوسف .

ولاملائن ، واملأئت ، واشمأزت ، واطمأوا ، نخذف فيها . والا ان فتح وكسر أو ضم ما قبله أو ضم وكسر ما قبله فبحرفه نحو : الخاطئة ، فؤادك ستقرئك ، وان كان ما قبله ساكنا حذف هو نحو : يسئل ،

لا تجثروا ، إلا النشأة ، وموتلا في الكهف .

فان كان الفا وهو مفتوح فقد سبق أنها تحذف لاجتماعها مع الف مثلها إذ الهمز بصورتها نحو أنبأنا و حذف معها أيضا في قرآنا في يوسف والزخرف ، و ان كان ضم أو كسر فلا نحو : آبائكم ، آبائهم إلا قال أوليائهم ، إلى أوليائهم ، في الانعام ، إن أوليائه في الأنفال ، نحن أوليائكم في فصلت . و ان كان بعده حرف يجانسه فقد سبق أيضا أنه تحذف نحو : شأن ، خاسئين ، يستهزئون ، و ان كان آخر فبحرف حركة ما قبله نحو : سبأ ، شاطئ ؛ لؤلؤا ، إلا مواضع تفتو ، تفتيوا ، أتوكوا ، لا تظلموا ، ما يعبوا ، ينشؤا ، يذرؤا ، نبؤا ، قال الملؤا ، الاول في قد أفلح والثلاثة في النمل . إلا في خمسة مواضع اثنان في المائدة وفي الزمر والشورى والحشر ، شركاؤا في الانعام ، و شورى ؛ يأتيهم أنبؤا في الانعام والشعراء علماؤا فيه ، من عباده العلماؤا ، والضعفاؤا في إبراهيم و غافر في أموالنا ما نشاؤا ، وما دعاؤا في غافر ؛ شفعاء في الروم ؛ إن هذا هو البلاؤا الميين في الدخان ، برآؤا منكم تكتب في الكل بالواو فان سكن ما قبله حذف هو نحو : مل. الأرض ، دف ، شي ، الحب ، ماء ، إلا لتؤا ، وإن تبؤوا ، السوء كذا استثناء القراء .

قلت : وعندي أن هذه الثلاثة لا تستثنى لأن الألف التي بعد الواو

ليست صورة الهمزة بل هي المزيدة بعد واو الفعل .

القاعدة الرابعة : في البدل .

[١] تكتب الألف واوا للتفخيم و ذلك في أربعة أصول مطردة ؛
وأربعة أحرف متفرعة .
فالاصول الأربعة هي [الصلاة] و [الزكاة] و [الحياة] و [الربو] .

و أما الأربعة الأحرف فهي قوله في الأنعام والكهف : [بالغداوة] ،
والنور [كشكوة] ، وفي المؤمن [النحو] وفي النجم [ومنوة] .
فاما قوله : [و ما كان صلاتهم] ، [ان صلاتي] ، [حياتا الدنيا]
[و ما آتيتم من ربا] فالرسم بالألف في الكل .

والقصد بذلك تعظيم شان هذه الأحرف فان الصلاة والزكاة عمودا
الاسلام و الحياة قاعدة النفس ، ومفتاح البقاء ، وترك الربا قاعدة الأمان
ومفتاح التقوى ، ولهذا قال : [انقوا الله وذروا ما بقى من الربوا
الى قوله تعالى [فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله و رسوله] ويشتمل على
أنواع الحرام ، وأنواع الخبائث ، وضروب المفسد ، وهو تقيض الزكاة ولهذا
قوبل بينهما في قوله تعالى : [يمحق الله الربوا ويربى الصدقات] واجتنابه
أصل في التصرفات المالية .

و إنما كتبت بالألف في سورة الروم لأنه ليس العام الكلى ، لان

(١) سورة البقرة رقم : ٢٧٩

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٧٦

الكلى منى في حكم الله عليه بالتحريم و في ننى الكلى ننى جميع جزئياته .

فان قلت : فلم كتبت [الزكاة] هنا بالواو ؟ وملا جرت على نظم ما قبلها من قوله تعالى : [وما آتيتم من ربا] .

قلت : لأن المراد بها الكلية في حكم الله ؛ ولذلك قال : [فاولئك هم المضعفون] و أما كتابة [النجوة] بالواو فلانها قاعدة الطاعات ومفتاح السعادات ، قال الله تعالى : [و يا قوم مالى أدعوكم الى النجوة ٢] و [أما الغدوة] فقاعدة الأزمان ؛ ومبدأ تصرف الانسان ، مشتقة من الغدو ، وأما [المشكوة] فقاعدة الهداية ، ومفتاح الولاية ؛ قال تعالى : [يهدى الله لنوره من يشاء] .

و أما [منوة] فقاعدة الضلال ومفتاح الشرك والاضلال وقد وصفها الله بوصفين أحدهما يدل على تكثيرهم الاله من مثنى ، ومثلث .
و الثانى يدل على الاختلاف والتغاير ، فمن معطل ومشبه .
[تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا] .

[٢] تبدل الألف ياء

وتكتب الألف ياء اذا كانت عن ياء نحو [يتوفىكم] فى اسم أو فعل
اتصل به ضمير أم لا ، لنى ساكنا أم لا ومته ياحسرق ؛ يا أسنى ، الا تراء ،

(١) سورة الروم : رقم : ٣٩

(٢) سورة المؤمن رقم ٤١

(٣) سورة النور رقم : ٣٥

وكلنا ، وهداني ، و من عصاني ، والاقصا ، وأقصا المدينة ، وطفا الماء ،
وسياهم ، والا ما قبلها يا كاللديا والحوايا ؛ الا يحي اسما أو فعلا وكذلك
ترسم الألف يا في هذه الكلمات [إلى] و [على] و [أنى] بمعنى كيف
و [متى] و [بلى] و [حتى] و [لدى] الا لدا الباب .
[٣] تبدل بالألف الواو الثلاثي

ويكتب بالألف الثلاثي الواوى اسما أو فعلا نحو : الصفا وشفا وعفا
الاضحى كيف وقع ، وما زكى منكم ، ودحاها وتلاها وطحاها وسبها .
[٤] تبدل بالالف نون التوكيد الخفيفة

و تكتب بالألف نون التوكيد الخفيفة ، و اذاً و بالنون كاي . وتكتب
بالهاء ما التانيث إلا أن هناك كلمات خرجت عن هذا الأصل : فتكتب بالهاء
المجرورة [المفتوحة] فمن ذلك لفظ [رحمة] في سبعة مواضع وهى :
١ - [أولئك يرجون رحمت الله] .

٢ - [ان رحمت الله قريب من المحسنين] .

٣ - [رحمت الله وبركاته] .

٤ - [ذكر رحمت ربك] .

(١) سورة البقرة رقم : ٢١٨

(٢) سورة الاعراف رقم : ٥٦

(٣) سورة هود رقم : ٧٣

(٤) سورة مريم رقم : ٢

- ٥ - [فانظر إلى آثار رحمت الله^١] .
 - ٦ - [أم يقسمون رحمت ربك^٢] .
 - ٧ - [ورحمت ربك خير مما يجمعون^٣] .
- ومن ذلك لفظ [نعمة] في أحد عشر موضعا : وهى [د ت ، تبدل
ها ، فى الوقف]

- ١ - [واذكروا نعمت الله عليكم^٢] .
- ٢ - [واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء^١] .
- ٣ - [ياايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم^٥] .
- ٤ - [ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا^١] .
- ٥ - [وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها^٧] .
- ٦ - [وبنعمت الله هم يكفرون^٨] .

-
- (١) سورة روم رقم : ٥٠
 - (٢) كلاهما بسورة الزخرف رقم ٣٢ وقد رتبتهما على حسب ترتيب المصحف .
 - (٣) سورة البقرة رقم : ٢٣١
 - (٤) سورة آل عمران رقم : ١٠٣
 - (٥) سورة المائدة رقم : ١١
 - (٦) سورة ابراهيم رقم : ٢٨
 - (٧) سورة ابراهيم رقم : ٣٤
 - (٨) سورة النحل رقم : ٧٢

- ٧ - [يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها^١] .
- ٨ - [واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون^٢] .
- ٩ - [الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمت الله^٣] .
- ١٠ - [ياايها الناس اذكروا نعمت الله عليكم^٤] .
- ١١ - [فما انت بنعمت ربك بكا من ولا يجنون^٥] .

والحكمة في ذلك أن الحاصلة بالفعل في الوجود تمد ، نحو قوله في إبراهيم : [وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها] بدليل قوله تعالى : [ان الانسان لظلم كفار] فهذه نعمة متصلة بالظلم الكفار تنزيلها . وهذا بخلاف التي في سورة النحل [وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها] كتبت مقبوضة لانها بمعنى الاسم بدليل قوله تعالى : [ان الله لغفور رحيم] فهذه نعمة وصلت من الرب عز وجل فهي ملكوتية ؛ ختمها باسمه عز وجل ، وختم الأولى باسم الانسان ومن ذلك [كلمة] في موضع واحد وهو :

١ - [وتمت كلمت ربك الحسنى^٦] .

-
- (١) سورة النحل رقم : ٨٣
 - (٢) سورة النحل رقم : ١١٤
 - (٣) سورة لقمان رقم : ٣١
 - (٤) سورة الفاطر رقم : ٣
 - (٥) سورة الطور رقم : ٢٩
 - (٦) سورة الاعراف رقم : ١٣٧

ومن ذلك [سنة] في خمسة مواضع وهي :

١ - [فقد مضت سنت الأولين] .

٢ - [سنت من قد أرسلنا قبلك من رسلنا] .

٣ - [فهل ينظرون الا سنت الأولين قلن تجد لسنت الله تبديلا .

٥ - [ولن تجد لسنت الله تحويلا] .

والحكمة في ذلك أنها بمعنى الاملاك والانتقام الذي في الوجود .

وما يدل على أنها بمعنى الانتقام قوله تعالى قبلها [إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف] .

وقوله بعدما [وقاتلوم حتى لا تكون قننة] .

وهكذا الشأن في [سنة] في مواضعها الخمسة المذكورة و من ذلك

[بقيت] في موضع واحد وهو :

١ - [بقيت الله] .

والحكمة في ذلك لأنها بمعنى ما يبقى في أموالهم من الربح المحسوس ،

(١) سورة الانفال رقم : ٣٨

(٢) سورة الاسراء رقم : ٧٧

(٣) ثلاثتها في فاطر رقم : ٤٣

(٤) سورة الانفال رقم : ٣٨

(٥) سورة الانفال رقم : ٣٩

(٦) سورة هود رقم : ٨٦

لأن الخطاب إنما هو فيها من جهة الملك .

ومن ذلك [فطرت] في موضع واحد وهو :

١ - [فطرت الله التي فطر الناس عليها] والحكمة في ذلك وصفها بأنها فطر

الناس عليها ، فهي فصل خطاب في الوجود كما جاء في الحديث [كل

مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه ، أو ينصرانه أو يمجسانه] .

ومن ذلك [قرت] في موضع واحد وهو :

١ - [قرت عين لي ولك]^٢ والحكمة في ذلك لأنها بمعنى الفعل إذ هو خبر

عن موسى ، وهو موجود حاضر في الملك وهذا بخلاف [قرأ أعين]^٣

فإنها هنا بمعنى الاسم ؛ وهو ملكوتي إذ هو غير حاضر .

ومن ذلك [معصيت] في موضعين وهما :

١ - ٢ - [ومعصيت الرسول وإذا جاءوك] [أو معصيت الرسول وتناجوا]

كلاهما بسورة المجادلة . والحكمة في ذلك لأنها بمعنى الفعل .

والتقدير : ولا تتناجوا بأن تعصوا الرسول ، ونفس هذا النجو

الواقع منهم في الوجود هو فعل معصية لوقوع النهي عنه .

ومن ذلك [اللعنة] في موضعين وهما : في آية المباينة ، وفي

آية اللعان :

(١) سورة الروم رقم : ٣٠

(٢) سورة القصص رقم : ٩

(٣) سورة الفرقان رقم : ٧٤

- ١ - [ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين^١] . . .
- ٢ - [والخامسة أن لعنت الله عليه أن كان من الكاذبين^٢] والحكمة في ذلك كونها بمعنى الفعل ظاهر . . .
- ومن ذلك [شجرت] في موضع واحد وقوة . . .
- ١ - [أن شجرت الزقوم^٣] والحكمة في ذلك لأنها بمعنى الفعل اللازم وهو تزقيها بالأكل ، بدليل قوله تعالى : [في البطون] فهذه صفة فعل كما في الواقعة : [لَا تَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ^٤] . وهذا بخلاف قوله : [أذلك خير نزلًا أم شجرة الزقوم] في الصافات فإن هذه وصفها بأنها : [قنّة للظالمين^٥] .
- [وانها تخرج في أصل الجحيم^٦] فهو حلية للاسم ؛ فلذلك قبضت نأؤما .
- ومن ذلك [جلت] في موضع واحد وهو :
- ١ - [وجنت نعيم^٧] والحكمة في ذلك كونها بمعنى فعل التمتع بالنعيم ،

(١) سورة آل عمران رقم : ٦١

(٢) سورة النور رقم : ٧

(٣) سورة الدخان رقم : ٤٣

(٤) سورة الواقعة رقم : ٥٢

(٥) سورة الصافات رقم : ٦٣

(٦) سورة الصافات رقم : ٦٤

(٧) سورة الواقعة رقم : ٨٩

يدليل اقترانها بالروح والريحان وتأخوها عنها وهما من الجنة؛ فهذه

جنة خاصة بالنعم بها، لا تهب على سائر الناس.

رواه [ممن وثقة جنة النعيم] و [أن يدخل جنة نعيم]، فإن هذا

يعني الاسم الملكي، والم تعد [تطية جحيم] لأنها اسم ما يفضله بطل كذب

في الآخرة، [تجزيه الله بذلك]، فلو من يبله تصديقه، ولا يخفف لفعل

لهذا، والصاحبة لذلك، أن ما كان يعني للاسم لما تعد قلوبه، مثل: [زمره

الحياة الدنيا] و [صنفه الله] و [والله الساطع] و [تحلة أيمانكم] و [رحلة

الشتاء والصيف] و [حمالة الخطيئة]، فلهذا [تجزيه الله بذلك] و [تجزيه الله بذلك]

ومن ذلك [ابنت] في موضع واحد وهو: [ابنت عمران]

١ - [ومريم ابنت عمران] والحكمة في ذلك التنبيه على معنى الولادة

(١) سورة الشعراء رقم : ٨٥

(٢) سورة المعارج رقم : ٣٨

(٣) سورة الواقعة رقم : ٩٤

(٤) سورة طه رقم : ٣١

(٥) سورة البقرة رقم : ١٣٨

(٦) سورة الحج رقم : ١

(٧) سورة التحريم رقم : ٢

(٨) سورة قريش رقم : ١

(٩) سورة المسد رقم : ٤

(١٠) سورة التحريم رقم : ١٢

والحدوث من التطفة المبيقة ، ولم يصف في القرآن ولد إلى والد ووصف به اسم الولد إلا عيسى وأمه عليها السلام ، لما اعتقد النصارى فيها أنها الهان ؛ فنبه سبحانه بإضافتها الولادية على جهة حدوثها بعد صدمها حتى أخبر الله تعالى في موطن بصفة الإضافة دون الموصوف وقال : [وجعلنا ابن مريم وأمه آية^١] - لما غلوا في الوهية أكثر من أمه كما نبه تعالى على حاجتهما وتغير أحوالهما في الوجود ، يلحقها ما يلحق البشر ، قل تعالى : [كانا ياكلان الطعام^٢] .

ومن ذلك [امرات] في سبعة مواضع وهي :

- ١ - [اذ قالت امرأت عمران^٣]
- ٢ - [وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز^٤]
- ٣ - [قالت امرأت العزيز^٥]
- ٤ - [وقالت امرأت فرعون^٦]
- ٥ - [امرات نوح^٧]

(١) سورة المؤمنون رقم : ٥٠

(٢) سورة المائدة رقم : ٧٥

(٣) سورة آل عمران رقم : ٣٥

(٤) كلاهما في سورة يوسف رقم : ٣٠ ، ٥١

(٥) سورة القصص رقم : ٩

(٦) سورة تحریم رقم : ١٠

٦ - امراء لوط ١ .

٧ - امراء فرعون ١ .

ومن خمس من النساء كلها ممدودة تنبها على فعل التبعل والصحبة
وشدة المواصلة والمخالطة والائتلاف في الوجود والمحسوس . وأربع منهن
منفصلات في بواطن أمرهن عن بعولتهن بأعمالهن . و واحدة خاصة واصلت
بعلمها باطنها وظاهرها و هي امراء عمران فجعل الله لها ذرية طيبة وأكرمها
بذلك وفضلها على العالمين و واحدة من الأربع انفصلت بباطنها عن بعلمها
طاعة لله وتوكلا عليه وخوفا منه فنجاهما وأكرمها و هي امراء فرعون .
واثنتان منهن انفصلتا عن أزواجهن كفرا بالله فأملاكهما الله ودمرهما ولم ينفعهما
بالوصلة الظاهرة مع أنها أقرب وصلة بأفضل أحباب الله كما لم تضر امراء
فرعون وصلتها الظاهرة بأخي عبيد الله . و واحدة انفصلت عن بعلمها بالباطن
اتباعا للهوى وشهوة نفسها فلم تبلغ من ذلك مرادها ، مع تمكنها من الدنيا
واستيلائها على من مالت اليه بحبها وهو في بيتها وقبضتها وتحت يديها فلم يغن
ذلك عنها شيئا . وقوتها وعزتها إنما كان لها من بعلمها [العزير] ولم ينفعها
ذلك في الوصول إلى ارادتها مع عظيم كيدما . كما لم يضر يوسف ما امتحن
به منها ؛ و نجاه الله من السجن و مكن له في الأرض وذلك بطاعته
لربه . ولا سعادة الا بطاعة الله ، ولا شقاوة الا بمعصيته ؛ فهذه كلها عبر
وقعت بالفعل في الوجود في شان كل امرأة منهن فلذلك مدت تلماتهن .

(١) سورة التحريم رقم : ١٠-١١

القاعدة الخامسة : في الوصل والفصل

اعلم أن الموصول في الوجود توصل كتاباته في الخط كما توصل حروف الكلمة الواحدة ، والمفصول معنى في الوجود يفصل في الخط ، كما تفصل كلمة عن كلمة .

فمن ذلك [إنما] بالكسر كله موصول إلا واحدا [إن ما توعدون لآت]^١ . لأن حرف [ما] هنا وقع على مفصل فنه خير موعود به لأهل الخير ، ومنه شر موعود به لأهل الشر ، فعنى [ما] مفصول في الوجود والعلم .

ومن ذلك [أنما] بالفتح كله موصول الا حرفان :

١ - [وأن ما يدعون من دونه هو الباطل]^٢ .

٢ - [وأن ما يدعون من دونه الباطل]^٣ .

وقع الفصل عن حرف التوكيد ، إذ ليس لدعوى غير الله وصل في الوجود إنما وصلها في العدم والنفي ، بدليل قوله تعالى : عن المؤمن [أنما تدعوني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة]^٤ . فوصل [أنما] في النفي وفصل في الاثبات ، لانتقاله عن دعوة الحق .

(١) سورة الأنعام رقم : ١٣٤

(٢) سورة الحج رقم : ٦٢

(٣) سورة لقمان رقم : ٣٠

(٤) سورة غافر رقم : ٤٣

ومن ذلك [كلما] موصول كله إلا ثلاثة هي :

١ - [كل ما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها] .

فما ردوا إليه ليس شيئاً واحداً في الوجود ، بل أنواع مختلفة في الوجود ،
وصفة مردم ليست واحدة بل متنوعة ، فالفصل [ما] لأنه لعموم
شيء مفصل في الوجود .

٢ - [وأناكم من كل ما سالتوه^١] خرف [ما] واقع على أنواع مفصلة
في الوجود .

٣ - [كل ما جاء أمة رسولها كذبوه^٢] والامم مختلفة في الوجود ، خرف
[ما] واقع على تفاصيل موجودة لتفصل .

ومذا بخلاف قوله : [كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم] ؛
فإن هؤلاء هم بنو إسرائيل أمة واحدة بدليل قوله [فلم تقتلون أنبياء الله^٣] -
والمخاطبون على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتلوا الأنبياء ، إنما يشره
آباؤهم ، لكن مذهبهم في ذلك واحد وهو - الغدر والخيانة - خرف [ما]
إنما يشمل تفاصيل الزمان ، وهو تفصيل لا مفصل له في الوجود إلا بالفرض

(١) سورة النساء رقم : ٩١

(٢) سورة إبراهيم رقم : ٣٤

(٣) سورة المؤمنون رقم : ٤٤

(٤) سورة المائدة رقم : ٧٠

(٥) سورة البقرة رقم : ٩١

والتوهم : لا بالحس فوصلت [كل] لاتصال الأزمنة في الوجود ، وتلازم أفرادها المتهمة .

وكذلك : [كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا^١] هذا موصول لأن حرف [ما] جاء لتعميم الأزمنة : فلا تفصيل فيها في الوجود وما رزقوا غير مختلف ، لقوله تعالى : [وأتوا به متشابها] .

ومن ذلك [أينما] موصول إذا كانت [ما] غير مختلفة الأقسام في الفعل الذي بعدها ؛ مثل : [أينما يوجه^٢] [فأيما تولوا^٣] [أينما ثقفوا^٤] [أينما تكونوا يدرككم الموت^٥] .

فهذه كلها لم تخرج [الأين] الملصكي وهو متصل حسا ، ولم يختلف فيه الفعل الذي مع [ما] وتفصل [اين] حيث تكون [ما] مختلفة الأقسام في الوصف الذي بعدها مثل : [أين ما كنتم تعبدون^٦] [و هو معكم أين ما كنتم^٧] (أين ما ثقفوا الا بجبل من الله وجبل من الناس^٨) .

(١) سورة البقرة رقم : ٢٥

(٢) سورة النحل رقم : ٨٦

(٣) سورة البقرة رقم : ١١٥

(٤) سورة الاحزاب رقم : ٦١

(٥) سورة النساء رقم : ٧٨

(٦) سورة الشعراء رقم : ٩٢

(٧) سورة الحديد رقم : ٤

ومن ذلك : [لبس ما] مفصول الا حرفين باتفاق وحرف مختلف فيه :
اما الحرفان الموصولان باتفاق جميع النقلة فهما :

- ١ - [لبسما اشتروا به أنفسهم^١]
- ٢ - [لبسما خلقتهم من بعدى^٢]

واما الحرف المختلف فيه فهو [قل لبس ما يأمركم به ايمانكم^٣] خرف
[ما] ليس فيه تفصيل ، لانه بمعنى واحد في الوجود من جهة كونه باطلا
مذموما على خلاف حال [ما] في المائة : [ترى كثيرا منهم يسارعون في
الاثم والعدوان وأكلهم السحت لبس ما كانوا يعملون^٤] خرف [ما] يشتمل
على الأقسام الثلاثة التي ذكرت قبل .

وكذلك : [لبس ما قدمت لهم أنفسهم^٥] حرف [ما] مفصول ،
لانه يعمل ما بعده من الأقسام . ومن ذلك : [يوم هم] في موضعين :
١ - [يوم هم بارزون^٦] ظرفان فصل الضمير عنهما لانه مبتدأ ، و أضيف

= (٨) سورة آل عمران رقم : ١١٢

(١) سورة البقرة رقم : ٩٠

(٢) سورة الاعراف رقم : ١٥٠

(٣) سورة البقرة رقم : ٩٣

(٤) سورة المائة رقم : ٦٢

(٥) سورة المائة رقم : ٨٠

(٦) سورة غافر رقم : ١٦

اليوم الى الجملة المنفصلة عنه . و اما [يومهم الذى فيه يصعقون^١] و [يومهم الذى يوعدون^٢] وصل الضمير لانه مفرد ، فهو جزء الكلمة المركبة . من اليوم المضاف والضمير المضاف اليه .

ومن ذلك [فى ما] تفصل [فى] عن [ما] فى موضع واحد اتفاقا وهو قوله تعالى : [اتركون فى ما هنا آمنين^٣] .

واختلف فى عشرة مواضع وهى :

الاول : [فى ما فعلن فى أنفسهن من معروف^٤] .

الثانى : [ليلوكم فى ما اناكم^٥] .

الثالث : [فى ما أوحى الى محرمات^٦] .

الرابع : [ليلوكم فى ما اناكم^٧] .

الخامس : [وهم فى ما اشتت أنفهم خالدون^٨] .

(١) سورة الطور رقم : ٤٥

(٢) سورة الزخرف رقم : ٨٣

(٣) سورة الشعراء رقم : ١٤٦

(٤) الموضع الثالث فى البقرة رقم ٢٤٠

(٥) سورة المائدة رقم : ٤٨

(٦) سورة الانعام رقم : ١٤٥

(٧) سورة الانعام رقم : ١٦٥

(٨) سورة الانبياء رقم : ١٠٢

السادس : [في ما أفضتم فيه عذاب عظيم^١] .

السابع : [من شركاء في ما رزقناكم^٢] .

الثامن : [في ما هم فيه يختلفون^٣] .

التاسع : [في ما كانوا فيه يختلفون^٤] .

العاشر : [وننشئكم في ما لا تعلقون^٥] .

وتوصل فيما عدا ذلك نحو : [فيما كانوا فيه يختلفون^٦] و [فيما فعلن

في أنفسهن بالمعروف^٧] .

ومن ذلك [كي لا] تفصل [كي] عن [لا] في ثلاثة مواضع وهي :

الاول : [لكي لا يعلم بعد علم شيئاً^٨] .

الثاني : [كي لا يكون على المؤمنين حرج^٩] .

(١) سورة النور رقم : ١٤

(٢) سورة الزوم رقم : ٢٨

(٣) سورة الزمر رقم : ٣

(٤) سورة الزمر رقم : ٤٦

(٥) سورة الواقعة رقم : ٦١

(٦) الموضع الاول من البقرة آية ١١٣

(٧) الموضع الثاني من البقرة آية ٢٣٤

(٨) سورة النحل رقم : ٧٠

(٩) سورة الأحزاب رقم : ٣٧

الثالث : [كى لا يكون دولة بين الاغنيا^١] .

وما عدا ذلك فوصول :

ومن ذلك : [و إذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون^٢]

فكتبنا موصولتين بدليل حذف الآلف بعد الواو فيها فدل ذلك

على أن الواو فيها غير مفصولة : إنتهى بتصرف .

ومن ذلك : [قال] تفصل لام [مال] عن ما بعدما في أربعة

مواضع وهى :

• الأول : [قال هؤلاء القوم^٣] .

• الثانى : [مال هذا الكتاب^٤] .

• الثالث : [وقالوا مال هذا الرسول^٥] .

الرابع : [قال الذين كفروا^٦] وما عدا ذلك فهو موصول :

ومن ذلك : [إن أم^٧] وما عداها فوصول وهو قوله تعالى [قال

(١) سورة الحشر رقم : ٧

(٢) سورة المطففين رقم : ٣

(٣) سورة النساء رقم : ٧٨

(٤) سورة الكهف رقم : ٤٩

(٥) سورة الفرقان رقم : ٧

(٦) سورة المعارج رقم : ٣٦

(٧) سورة الاعراف رقم : ١٥٠

يا بئوم لا تأخذ بلحقيق ولا برأسى^١

ومن ذلك ستة أحرف تفصل عنها بعدما حتميا وهي :

[الاف ، والواو ، والدال ، والذال ، والراء ، والزاي] لأنها

علامات لاتصالات ونهايات ، وسائر الحروف توصل في الكلمة الواحدة :

ومن ذلك : [عن ما] تفصل [عن] عن [ما] في موضع واحد وهو

[قلبا عتوا عن ما نهوا عنه^٢] . وتوصل فيما عدا الموضع المذكور نحو [سبحانه

و تعالى عما يشركون^٣]

ومن ذلك : [من ما] تفصل [من] الجارة عن [ما] في ثلاثة

مواضع : وهي

١ - [من ما ملكت أيمانكم^٤] .

٢ - [هل لكم من ما ملكت أيمانكم^٥] .

٣ - [وأنفقوا من ما رزقناكم^٦] . وما عدا ذلك فوصول نحو :

[فويل لهم مما كتبت أيديهم^٧] .

(١) سورة طه رقم : ٩٤

(٢) سورة الاعراف رقم : ١٦٦

(٣) سورة يونس رقم : ١٨

(٤) سورة النساء رقم : ٢٥

(٥) سورة الروم رقم : ٢٨

(٦) سورة المناققين رقم : ١٠

(٧) سورة البقرة رقم : ٧٩

ومن ذلك : [أم من] تفصل [أم] عن [من] في أربعة مواضع هي :

١ - [أم من يكون عليهم وكيلا^١] .

٢ - [أم من أسس بنيانه^٢] .

٣ - [أم من خلقنا^٣] .

٤ - [أم من يأتي^٤] وما عدا ذلك فوصول نحو : [أمن

يجيب المضطر إذا دعاه^٥] .

وكذلك : [عن من] تفصل [عن] عن [من] في موضعين : هما

١ - [ويصرفه عن من يشاء^٦] .

٢ - [فأعرض عن من تولى عن ذكرنا^٧] .

ومن ذلك : [ومن] موصول كله نحو [فمن أظلم ممن اقترى على الله

كذبا^٨] .

(١) سورة النساء . رقم : ٢٥

(٢) سورة التوبة رقم : ١٠٩

(٣) سورة الصافات رقم : ٣

(٤) سورة فصلت رقم : ٤٠

(٥) سورة النمل رقم : ٦٢

(٦) سورة النور رقم : ٤٣

(٧) سورة النجم رقم : ٢٩

(٨) سورة يونس رقم : ١٧

وكذلك : [وان ما نرينك] تفصل [ان] عن [ما] في موضع واحد

وهو : [وان ما نرينك بعض الذي نعدهم] ١ .

وما عداه ففصول : نحو [فاما نرينك بعض الذي نعدهم] ٢ .

ومن ذلك [فالم] وصلت [ان] بـ [لم] في موضع واحد وهو :

[فالم يستجيئوا لكم] ٣ وفصلت فيما عدا ذلك نحو : [فان لم يستجيئوا لك] ٤ .

ومن ذلك [أن] توصل [أن] بـ [ن] في موضعين وهما :

١ - [أن نجعل لكم موعدا] ٥ .

٢ - [أن نجتمع عظامه] ٦ .

وتفصل فيما عدا هذين الموضعين نحو : [بل ظننتم أن لن ينقلب

الرسول والمؤمنون] ٧ .

ومن ذلك : كل ما في القرآن [ألا] فهو موصل الا عشرة مواضع

فهى مفصولة تكتب النون فيها باتفاق ، وذلك حيث ظهر في الوجود صحة

(١) سورة الرعد رقم : ٤٠

(٢) سورة غافر رقم : ٧٧

(٣) سورة هود رقم : ١٤

(٤) سورة القصص رقم : ٥٠

(٥) سورة الكهف رقم : ٤٨

(٦) سورة القيامة رقم : ٣

(٧) سورة الفتح رقم : ١٢

توكيد القضية ولزومها :

- الاول : [حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق^١]
- الثاني : [أن لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه^٢]
- الثالث : [وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه^٣]
- الرابع : [وأن لا اله الا هو فهل أتمم مسبلون^٤]
- الخامس : [أن لا تعبدوا الا الله^٥]
- السادس : [أن لا تشرك بي شيئا^٦]
- السابع : [أن لا تعبدوا الشيطان^٧]
- الثامن : [وأن لا تعلوا على الله^٨]
- التاسع : [أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين^٩]

(١) سورة الاعراف رقم : ١٠٠

(٢) سورة الاعراف رقم : ١٦٩

(٣) سورة التوبة رقم : ١١٨

(٤) سورة هود رقم : ١٤

(٥) سورة هود رقم : ٢٥

(٦) سورة الحج رقم : ٢٦

(٧) سورة يسين رقم : ٦٠

(٨) سورة الدخان رقم : ١٩

(٩) سورة القلم : رقم : ٢٤

العاشر : [أن لا يشركن بالله شيئا] .

واختلف في موضع واحد وهو قوله تعالى : [أن لا اله أنت سبحانه] فرسم في بعض المصاحف مفصولا وفي بعضها موصولا .
أما [إن] مكسورة الهمزة فوصولة مع [لا] في جميع المصاحف نحو : [الا تتصروه فقد نصره الله] .

ومن ذلك : [لام التعريف] المدغمة في اللفظ في مثلها أو غيرها ، لما كانت للتعريف - وشأن المعرفة أن يكون أيبين وأظهر ، أظهرت في الخط ووصلت بالكلمة ، لأنها صارت جزءا منها من حيث هي معرفة بها ، هذا هو الأصل ، وقد حذف حيث يخفى معنى الكلمة مثل [الليل] فانه بمعنى مظلم لا يوضح الأشياء بل يسترهما ويخفيها ، وكونه واحدا أما للجزئي أو للجنس فأخفى حرف تعريفه في مثله ، فان تعين للجزئي بالتأنيث رجع الى الأصل .
ومثل [الذى] و [التي] و تثنيتهما و جمعها ، فانه مبهم في المعنى والكم لأن أول حده للجزئي و للجنس للثلاث أو غيرها ، ففيه ظلمة الجهل كالليل .
ومثل [التي] في الإيجاب ، فان لام التعريف دخلت على [لا] النافية .

وفيا ظلمة العدم كالليل ، ففي هذه الظلمات الثلاث يخفى حرف

(١) سورة الممتحنة رقم : ١٢

(٢) سورة الانبياء رقم : ٨٧

(٣) سورة التوبة رقم : ٤٠

التعريف . وكذلك [الأيكة] نقلت حركة همزتها على لام التعريف وسقطت همزة الوصل لتحريك اللام ، فاجتمعت الكلمتان ، فصارت [ليكة] علامة على اختصار وتلخيص وجمع في المعنى ، وذلك في حرفين :

أحدهما في الشعراء قوله [كذب أصحاب ليكة المرسلين^١] جمع فيه قصتهم مختصرة وموجزة في غاية البيان ، وجعلها جملة فهي آخر قصة في السورة بدليل قوله [إن في ذلك لآية^٢] فافردما .

والثاني في ص قوله [وأصحاب ليكة أولئك الأحزاب^٣] جمع الأمم فيها باللقابهم وجعلهم جهة واحدة ، ثم آخر أمة فيها ووصف الجملة . قال تعالى :- [أولئك الأحزاب] . وليس الأحزاب وصفا لكل منهم بل هو وصف جميعهم .

وجاء بالانقصال على الأصل حرفان نظير مذين المحرفين : أحدهما [وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين^٤] أفردم بالذكر والوصف والثاني [وأصحاب الأيكة^٥] جمعوا فيه مع غيرهم ، ثم حكم على كل منهم لا على الجملة ، قال تعالى :- [كل كذب الرسل^٥] فحيث يعتبر فيهم

(١) سورة الشعراء رقم : ١٧٦

(٢) سورة الشعراء رقم : ١٩٠

(٣) سورة ص رقم : ١٣

(٤) سورة الحجر رقم : ٧٨

(٥) سورة ق رقم : ١٤

التفصيل فصل لام التعريف ، وحيث يعتبر فيهم التوصليل وصل للتخفيف .
ومن ذلك : [لتخذت عليه أجرا] حذفت الالف و وصلت لأن
العمل في الجدار قد حصل في الوجود فلزم الاجر ، واتصل به حكما ،
بخلاف : [لاتخذوك خليلا] ليس فيه وصلة للزوم .

كتابة فوائح السور

كتبوا [الم] و [الر] موصولا . ان قيل لم وصلوه والهاء مقطوع
لا ينبغي وصله لانه لو قيل لك : ما هجا [زيد] ؟ قلت : زاي ، ياء ، دال ،
و تكتبه مقطعا ، لتفرق بين هجا الحروف وقراءته . قيل انما وصلوه لانه
ليس هجا لاسم معروف ، وانما هي حروف اجتمعت ، يراد بكل حرف معنى .
فان قيل : لم قطعوا [حم عسق] ولم يقطعوا [المص] و [كهيعص] ؟
قيل حم قد جرت في أوائل سبع سور ، فصارت اسما للسور فقطعت
ما قبلها .

وجوزوا في (ق) و (ص) وجهين : - من جزمها فهما حرفان
ومن كسر آخرهما فعلى أنه أمر كتب على لفظها .

القاعدة السادسة :

فما فيه قراءتان فكتبت على إحداها ، و مرادنا غير الشاذ

(١) سورة الكهف رقم : ٧٧

(٢) سورة الاسراء رقم : ٧٣

من ذلك : مالك يوم الدين ، يخادعون ، وواعدنا ، والصاعقة ،
والرياح ، وتقادوم ، وتظاهرون ، ولا تقاتلوه ونحوها . ولولا دفاع ،
فرمان ، طائرا في آل عمران والمائدة ، مضاعفة ونحو [عاقبت أيمانكم ، الأوليان
لاستم ، قاسية] ، قياما للناس ، خطباتكم ، في الاعراف ، طائفة ، حاشا لله ،
وسيعلم الكافر ، تزاور ، زاكية ، فلا تصاحبني ، لاتخذت ، مهادا ، وحرام
على قرية ، ان الله يدافع ، سكارى وما هم بسكارى ، المضغة عظاما ، فكسونا
العظام الخاء ، سراجا ، بل ادارك ؛ ولا تصاعر ، ربنا باعد ؛ أساوره ، بلا ألف
في الكل ، وقد قرئت بها وبجذفها ، وغيات الجب ، وأنزل عليه آية في
العنكبوت ؛ وثمرت من أكامها في فصلت وجماليات ، فهم على بينت ،
وهم في الغرفات آمنون . بالتاء ، وقد قرئت بالجمع والافراد . وتقية بالياء
ولامب بالآلف ، ويقتض الحق بلا ياء ؛ وآتوني زبر الحديد بالنقط تنجي
من نشاء ، ننج المؤمنين ، بنون واحدة ، والصراط كيف وقع ، وبصطة
في الاعراف والمصيطرون ، ومصيطر ، بالصاد لا غير . وقد تكتب الكلمة
صالحة للقراءتين نحو : فكهون بلا ألف وهي قراءة ؛ وعلى قراتها هي مخذوقة
رسما لانه جمع تصحيح .

[فرع]

فيما كتب موافقا لقراءة شاذة من ذلك : - [ان البقر تشابه علينا]
أو كلما عامدوا عهدا ، ما بقى من الربوا ، وقرى . بضم الباء وسكون الواو
ولفقاتلوه ، انما طائرهم ، طائر في عنقه ، تساقط ، سامر ، وفصاله في عامين ،

عليهم ثياب سندس ؛ ختامه مسك ، فادخل في عبادى .
و أما القراءات المختلفة المشهورة بزيادة لا يحتملها الرسم ونحوها
نحو : - أوصى ، و وصى و تجرى تحتها ، و من تحتها ، و سيقولون الله ،
و لله ، و ما عملت أيديهم ، و ما عملته . فكتابه على نحو قرائته ، و كل
ذلك وجد في مصاحف الامام .

[فائدة]

كتبت فواتح السور على صورة الحروف أنقشها لا على صورة النطق
بها اكفاء بشهرتها .

[فائدة أخرى]

هل تجوز كتابته بقلم غير العربى ؟ قال الزركشى : لم ار فيه كلاما
لأحد من العلماء . قال : و يحتمل الجواز لأنه قد يحسنه من يقرؤه بالعربية
- و الاقرب المنع - كما تحرم قرائته بغير لسان العرب ، و لقولهم : القلم
أحد اللسانين و العرب لا تعرف قلبا غير العربى ؛ و قد قال الله تعالى بلسان
عربى مبين - ٥١ .

[آراء العلماء في رسم المصحف]

للعلماء في رسم المصحف آراء ثلاثة هي :

الرأى الاول :

أنه توقيفى لا تجوز مخالفته و اليه ذهب الجمهور و قد سبق أن
بسطت القول [في الشواهد] على ذلك من أقوال العلماء .

أن رسم المصاحف اصطلاحى لا توقيفى ، و عليه فتجوز مخالفته و بمن
جنح الى هذا الرأى ابن خلدون فى مقدمته . و بمن تحمس له القاضى أبو بكر فى
الاتصار اذ يقول ما نصه : - و أما الكتاب فلم يفرض الله على الامة فيها
شيئا ؛ اذ لم يأخذ على كتاب القرآن و خطاط المصاحف لا رسما بعينه دون
غيره أوجه عليهم و ترك ما عداه ، اذ وجوب ذلك لا يدرك الا بالسمع
و التوقيف . و ليس فى نصوص الكتاب ولا مفهومه أن رسم القرآن
و ضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص و حد محدود لا يجوز تجاوزه ،
ولا فى نص السنة ما يوجب ذلك و يدل عليه ، ولا فى اجماع الامة ما يوجب
ذلك و لا دلت عليه القياسات الشرعية . بل السنة دلت على جواز رسمه
بأى وجه سهل لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يأمر برسمه و لم يبين
لهم وجهها معيناً ولا نهى أحدا عن كتابته و لذلك اختلفت خطوط المصاحف
فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ و منهم من كان يزيد و ينقص
لعله بان ذلك اصطلاح وان الناس لا يخفى عليهم الحال . و لاجل هذا بعينه
جاز أن يكتب بالحروف الكوفية و الخط الاول و أن يجعل اللام على
صورة الكاف ، و أن تعوج الالفات و ان يكتب على غير هذه الوجوه ،
و جاز أن يكتب المصحف بالخط و الهجاء القديمين ؛ و جاز أن يكتب
بالخطوط و الهجاء المحدثه ، و جاز أن يكتب بين ذلك .

و بالجملة فكل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص عليه

أن يقيم الحجة على دعواه . وأنى له ذلك ؟ . ؟ ١ . بتلخيص .

ونزیدك هنا معرفة ما ذكره العلامة ابن المبارك نقلا عن العارف بالله شيخه عبد العزيز الدبائع اذ يقول في كتابه الابريز ما نصه : [رسم القرآن سر من اسرار الله المشاهدة وكمال الرفعة] .

قال ابن المبارك فقلت له : هل رسم الواو بدل الألف في نحو [الصلاة] والزكاة ، والحياة ، ومشكاة ، وزيادة الواو في [ساوريكم ، وأولئك ، وأولاء ، وأولات] وكالياء في نحو [هديهم ، وملأته ، وبأيكم ، وبأيدي] . هذا كله صادر عن النبي صلى الله عليه وسلم أو من الصحابة ؟ فقال : هو صادر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي أمر الكتاب من الصحابة أن يكتبوه على هذه الهيئة فما نقصوا ولا زادوا على ما سمعوه من النبي] .

فقلت له : ان جماعة من العلماء ترخصوا في أمر الرسم وقالوا : انما هو اصطلاح الصحابة مشوا فيه على ما كانت قريش تكتب عليه في الجاهلية . وانما صدر ذلك من الصحابة ؛ لأن قريشا تعلموا الكتابة من أهل الحيرة ، وأهل الحيرة ينطقون بالواو في الربا ، فكتبوا على وفق منطقهم . وأما قريش فانهم ينطقون فيه بالآلف ، وكتابتهم له بالواو على منطق غيرهم و تقليد لهم ، حتى قال القاضي ابو بكر الباقلاقي : كل من ادعى يحب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه ، فانه ليس في الكتاب ولا في السنة ولا في الاجماع ما يدل على ذلك ؟

فقال ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة وإنما هو توقيف من النبي وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها ؛ لأسرار لا تهتدى إليها العقول ، وهو سر من الاسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية . وكما أن نظم القرآن معجز ، فرسمه أيضا معجز . وكيف تهتدى العقول الى سر زيادة الألف في [مائة] دون [قئة] وإلى سر زيادة الياء في بأيد ، وبأيكم ؟ أم كيف تتوصل الى سر زيادة الألف في [سعوا] بالحج ونقصانها من سعوا في سبا ؟ والى سر زيادتها في [آمنوا] واسقاطها من [باؤ] ، [جاؤ] ، (تبوؤ) ، (فاؤ) بالبقرة ؟ والى سر زيادتها في (يعفوا الذي) ونقصانها من (يعفو عنهم) في النساء ؟ أم كيف تبلغ العقول الى وجه حذف بعض أحرف من كلمات متشابهة دون بعض كحذف الألف من (قرءانا) يوسف والزخرف ، واثباتها في سائر المواضع ؟ .

و اثبات الألف بعد واو (سموات) في فصلت وحذفها من غيرها . و اثبات الألف في (الميعاد) ، (مطلقا) ، وحذفها من الموضع الذي في الانفال ، و اثبات الألف في سراجا حيثما وقع ، وحذفها من موضع الفرقان ؟ وكيف تتوصل الى فتح بعض النئات وربطها في بعض ؟ فكل ذلك لأسرار الهيبة ، وأغراض نبوية ، وإنما خفيت على الناس لأسرار باطنية لا تدرك الا بالفتح الرباني ، فهي بمنزلة الالفاظ والحروف المقطعة التي في أوائل

السور ، فان لها أسراراً عظيمة ، ومعاني كثيرة : وأكثر الناس لا يهتدون الى أسرارها ، ولا يدركون شيئاً من المعاني الإلهية التي أشير إليها : فكذلك أمر الرسم الذي في القرآن حرفاً بحرف .

وأما قول من قال : ان الصحابة اصطالحوا على أمر الرسم المذكور ، فلا يخفى ما في كلامه من البطلان ، لأن القرآن كتب في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه ، وحيث فلا يخلو ما اصطالح عليه الصحابة ، اما أن يكون هو عين الهيئة أو غيره فان كان عينها بطل الاصطلاح ، لأن أسبقية النبي صلى الله عليه وسلم تنافي ذلك و توجب الاتباع . وان كان غير ذلك فكيف يكون النبي صلى الله عليه وسلم كتب على هيئة كهينة الرسم القياسي مثلاً ، والصحابة خالفوا وكتبوا على هيئة أخرى ؟ اذن فلا يصح ذلك من وجهين : أحدهما : نسبة الصحابة الى المخالفة ، وذلك محال .

ثانيهما : أن سائر الامة من الصحابة وغيرهم أجمعوا على أنه لا يجوز زيادة حرف في القرآن ولا نقصان حرف منه . وما بين الدفتين كلام الله عز وجل ، فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أثبت ألف الرحمن والعالمين مثلاً ، ولم يزد الألف في [مائة] ولا في [ولأوضحوا] ولا الياء في [بأيد] ونحو ذلك ، والصحابة عاكسوه في ذلك وخالفوه ، لزم أنهم - وحاشاهم من ذلك - تصرفوا في القرآن بالزيادة والنقصان ، ووقعوا فيما أجمعوا هم وغيرهم على ما لا يحل لأحد فعله ، ولزم تطرق الشك الى جميع ما بين الدفتين .

ثم قال ابن المبارك بعد كلام ، فقلت له : فان كان الرسم توقيفا
يوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فانه كالألفاظ القرآن فلم لم يتقل تواترا حتى
ترتفع عنه الريبة وتطمئن به القلوب كالألفاظ القرآن ؟ فانه ما من حرف الا
وقد نقل تواترا لم يقع فيه خلاف ولا اضطراب وأما الرسم فانه إنما نقل
بالآحاد ، كما يعلم من الكتب الموضوعة فيه ، وما نقل بالآحاد وقع
الاضطراب بين النقلة في كثير منه وكيف تضيع الأمة شيئا من الوحي ؟
فقال : [ما ضيعت الأمة شيئا من الوحي] .

والقرآن بحمد الله محفوظ ألفاظا ورسمًا : فأهل العرفان والشهود
والعيان ، حفظوا ألفاظه ورسمه ، ولم يضيعوا منها شعرة واحدة ، وأدركوا
ذلك بالشهود والعيان الذي هو فوق التواتر . وغيرهم حفظوا ألفاظه
الواصلة اليهم بالتواتر . واختلافهم في بعض حروف الرسم لا يقدح ولا يصير
لامة مضية كما لا يضر جهل العامة بالقرآن وعدم حفظهم لألفاظه . . .
الرأى الثالث :

يميل صاحب التبيان ومن قبله صاحب البرهان الى ما يفهم من كلام
العز بن عبد السلام ، من أنه يجوز بل يجب كتابة المصحف الآن لعامة
الناس على الاصطلاحات المعروفة الشائعة عندهم ولا تجوز كتابته لهم بالرسم
العثماني الأول ، لئلا يوقع في تغيير من الجهال ولكن يجب في الوقت نفسه
المحافظة على الرسم العثماني ، كأثر من الآثار النفيسة الموروثة عن سلفنا الصالح ،
فلا يهمل مراعاة لجهل الجاهلين بل يبق في أيدي العارفين الذين لا تخلو

منهم الأرض وهاك عبارة التبيان في هذا المقام إذ يقول ما نصه :

وأما كتابته [أي المصحف] على ما أحدث الناس من الهجاء فقد جرى عليه أهل المشرق ، بناء على كونها أبعد عن اللبس ، وتحاشاه أهل المغرب بناء على قول الامام مالك وقد سئل . هل يكتب المصحف على ما أحدث الناس من الهجاء ؟ فقال [لا] الا على الكتابة الاولى .

قال في البرهان : قلت : وهذا كان في الصدر الاول ، والعلم حتى غض .
وأما الآن فقد يخشى الالتباس ، ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام :
لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسم الاول باصطلاح الأئمة
لئلا يوقع في تغيير من الجهال . ولكن لا ينبغي اجراء هذا على اطلاقه ،
لئلا يودى الى دروس العلم . وشيء قد أحكمته الصحابة لا يترك مراعاة
لجهل الجاهلين . [ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجة] ٥١ .

أقول هذا الرأي يقوم على رعاية الاحتياط للقرآن من ناحيتين : -
ناحية كتابته في كل عصر بالرسم المعروف فيه ، ابعادا للناس عن اللبس
والخلط في القرآن الكريم ، وناحية ابقاء رسمه الاول المأثور ، يقرؤه
العارفون و مزلا يخشى عليهم الالتباس . ولا شك أن الاحتياط مطلوب
ديني جليل خصوصا في جانب حماية التنزيل .

مزايَا الرسم العثماني

ذكر العلماء في هذا الرسم العثماني مزايَا وفوائد عديدة نورد أهمها

فيما يلي :-

الفائدة الأولى

الدلالة في القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة بقدر الامكان ،
وذلك أن قاعدة الرسم لوحظ فيها أن الكلمة إذا كان فيها قراءتان أو أكثر ،
كُتبت بصورة تحتل هاتين القراءتين أو الأكثر . فان كان الحرف الواحد
لا يحتمل ذلك بأن كانت صورة الحرف تختلف باختلاف القراءات جاء
الرسم على الحرف الذي هو خلاف الأصل . وذلك ليعلم جواز القراءة
به وبالحرف الذي هو الأصل . وإذا لم يكن في الكلمة إلا قراءة واحدة بحرف
الأصل ، وذلك ليعلم جواز القراءة به وبالحرف الذي هو الأصل .
وإذا لم يكن في الكلمة إلا قراءة واحدة بحرف الأصل رسمت به مثال الكلمة
تكتب بصورة واحدة وتقرأ بوجود متعددة قوله تعالى [إن هذان لساحران]
رسمت في الصحف العثمانية هكذا [ان هذان لساحران] من غير نقط
ولا شكل ولا تشديد ولا تخفيف في نوني ان وهذان ، و من غير ألف
ولا ياء بعد الذال من [هذان] .

وبجى. الرسم كما ترى ، كان صالحا عندهم لأن يقرأ بالوجوه الأربعة

التي وردت كلها بأسانيد صحيحة .

[أولها] قراءة نافع و ابن عامر وشعبة والآخرين . بتشديد نون
[ان] وفتحها ، [هذان] بالآلف مع تخفيف النون .

[ثانيها] : قراءة ابن كثير بإسكان نون [إن] ، [هذان] بالآلف
مع تشديد النون والمد المشبع للساكتين وصلا ووقفا .

[ثالثها] : رواية حفص بإسكان نون [إن] ، [وهذان] بالآلف
مع تخفيف النون .

[رابعها] : قراءة أبي عمرو بتشديد نون [إن] وفتحها ، [هذان]
بالياء مع تخفيف النون .

فتدبر هذه الطريقة المثلى الضابطة لوجوه القراءة لتعلم أن سلفنا
الصالح كان في قواعد رسمه للصحف أبعد منا نظرا وأهدى سبيلا .

الفائدة الثانية :

إفادة المعاني المختلفة بطريقة تكاد تكون ظاهرة و ذلك نحو قطع كلمة
[أم] في قوله تعالى : (أم من يكون عليهم وكيل) و وصلها في قوله تعالى :
[أمن يمشى سويا على صراط مستقيم] إذ كتبت هكذا [أمن] بادغام الميم
الأولى في الثانية وكتابتها ميميا واحدة مشددة فقطع أم الأولى في الكتابة
للدلالة على أنها أم المنقطعة التي بمعنى بل . و وصل أم الثانية للدلالة على
أنها ليست كذلك .

الفائدة الثالثة :

الدلالة على معنى خفي دقيق كزيادة الياء في كتابة [أيد] من قوله تعالى [والسما بنيانها بأييد] إذ كتبت هكذا [بأييد] وذلك للإيحاء إلى تعظيم قوة الله التي بنى بها السماء وأنها لا تشبهها قوة على حد القاعدة المشهورة وهي : زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .

الفائدة الرابعة :

الدلالة على أصل الحركة مثل كتابة الكسرة ياء في قوله تعالى : [وإتاء ذى القربى] إذ تكتب هذا [وإتأى ذى القربى] ومثل كتابة الضمة واوا في قوله سبحانه : [سأريكم دار الفاسقين] إذ كتبت هكذا [سأوريكم] ومثل ذلك الدلالة على أصل الحرف نحو الصلاة والزكاة إذ كتبنا هكذا [الصلاة] [الزكاة] ليفهم أن الالف فيها متقلبة عن واو .

الفائدة الخامسة :

إفادة بعض اللغات الفصيحة ، مثل كتابة هاء التانيث تا مفتوحة دلالة على لغة طى ، وقد تقدمت الأمثلة لهذا النوع . ومثل قوله تعالى : [يوم يأتى لا تكلم نفس الا بإذنه] كتبت بحذف الياء هكذا [يات] للدلالة على لغة هذيل .

الفائدة السادسة :

حمل الناس على أن يتلقوا القرآن من صدور ثقات الرجال

ولا يتكلموا على هذا الرسم العثماني الذي جاء غير مطابق للنطق الصحيح
في الجملة :

و إني وإن كنت قد أطببت في باب [مرسوم الخط] فمعدرة لأن
كلام العلماء فيه طويل و شائك : و ما حملني على الاطالة فيه إلا أني
أردت أن أخلص الورد من الشوك .

هذا والله أعلى و أعلم بالصواب .

بسم الله الرحمن الرحيم

(التفسير والتأويل)

التفسير في اللغة :

تفعيل من الفسر وهو البيان والكشف ويقال هو مقلوب السفر
تقول أسفر الصبح : إذا أضاء وقيل مأخوذ من النفسرة وهي اسم لما يعرف
به الطبيب الممرض .

والتفسير في الاصطلاح :

عرفه أبو حيان بأنه : [علم يبحث عن كيفية النطق بالفاظ القرآن ،
ومدلولاتها ، واحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة
التركيب وتمامت لذلك .

وقال الزركشي : التفسير : علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان معانيه واستخراج احكامه وحكمه .
والتأويل في اللغة :

أصله من الاول ، وهو الرجوع الى الاصل ، فكانه صرف الآية
الى ما تحتمله من المعاني وقيل من الايالة وهي السياسة ، كان المؤول للكلام
ساس الكلام ووضع المعنى فيه موضعه .

والتأويل في عرف المتأخرين :

هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح لدليل يقترب به - وهذا الاصطلاح لا يتفق مع ما يراد بلفظ التأويل في القرآن عند السلف .

(الفرق بين التفسير والتأويل)

اختلف العلماء في الفرق بين التفسير والتأويل على أقوال عديدة نورد أهمها فيما يلي :

١ - قيل :

إنهما بمعنى واحد ، ومنه دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس [اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل] .

٢ - وقال الراغب :

التفسير أعم من التأويل ؛ وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها ، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل ، وأكثر ما يستعمل في الكتب الالهية ، وتأويل الرؤيا ، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها .

٣ - وقال غيره :

التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا ، والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة الى واحد منها بما ظهر من الأدلة .

٤ - وقال المازني :

التفسير : القطع على أن المراد من اللفظ هذا ، و الشهادة على الله أنه عني باللفظ هذا . فان قام دليل مقطوع به فصحيح ، والا فتفسير بالرأى وهو المنهي عنه .

و التأويل : ترجيح أحد الاحتمالات بدون القطع و الشهادة على الله .

٥ - وقال أبو طالب الثعلبي :

التفسير : بيان وضع اللفظ ، اما حقيقة أو مجازا كتفسير الصراط بالطريق والصيب بالمطر .

و التأويل : تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الاول وهو الرجوع لعاقبة الامر . فالتأويل اخبار عن حقيقة المراد ، والتفسير اخبار عن دليل المراد لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل ، مثاله قوله تعالى - [إن ربك لبالمرصاد] تفسيره : أنه من الرصد ، يقال رصدته : رقبته ، والمرصاد مفعال منه . و تأويله التحذير من التهاون بامر الله والغفلة عن الآفة والاستعداد للعرض عليه . وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة .

٦ - وقال الأصماني في تفسيره :

اعلم ان التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن ، و بيان المراد

أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره بحسب المعنى الظاهر وغيره والتاويل أكثره في الجمل . والتفسير اما ان يستعمل في غريب الالفاظ نحو البحيرة والسائبة والوصيلة ، أو في وجيز تبيين لشرح نحو - أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، واما في كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره الا بمعرفتها كقوله [انما النسيء زيادة في الكفر] وقوله [وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها] . واما التاويل فانه يستعمل مرة عاما ومرة خاصا نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق وتارة في جحود الباري عز وجل خاصة . والايمان المستعمل في التصديق المطلق تارة وفي تصديق الحق أخرى واما في لفظ مشترك بين معان مختلفة نحو لفظ وجد المستعمل في الجدة والوجد والوجود .

٧ - وقيل :

التاويل كشف ما انفلق من المعنى ، ولهذا قال البجلي : التفسير يتعلق بالرواية ، والتاويل يتعلق بالدراية ، وهما راجعان الى التلاوة والنظم المعجز الدال على الكلام القديم القائم بذات الرب تعالى .

٨ - وقال أبو نصر القشيري :

التفسير مقصور على الاتباع والسمع والاستنباط بما يتعاق بالتاويل .

٩ - وقال قوم :

ما وقع مبينا في كتاب الله ومعينا في صحيح السنة سمي تفسيرا لأن

معناه قد ظهر ووضح ، وليس لاحد أن يتعرض اليه باجتهاد ولا غيره ، بل يحمله على المعنى الذى ورد لا يتعداه . و التاويل : ما استنبطه العلماء العالمون لمعانى الخطاب الماعرون فى آلات العلوم .

١٠ - وقال قوم منهم البغوى والكواشى :

التاويل صرف الآية الى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية ، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط .

١١ - وقال بعضهم :

التفسير فى الاصطلاح علم نزول الآيات و شؤونها وأقاصيصها والاسباب النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيا ومدنيها وحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرما وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها .

١٢ - وقال ابو حيان :

التفسير : علم يبحث فيه عن كيفية النطق بالفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب وتتمت لذلك مثل معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح بعض ما أبهم فى القرآن ونحو ذلك .

١٣ - وقال الزركشى :

التفسير : علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة

والتحوي والنصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ . قال الامام أبو القاسم محمد بن خبيب النيسابوري رحمه الله : وقد نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتاويل ما امتدوا إليه لا يحسنون القرآن تلاوة ولا يعرفون معنى السورة أو الآية ما عتدم الا التشنيع عند العوام لنيل ما عتدم من الخطام ، أعفوا أنفسهم من الكد والطلب ، وقلوبهم من الفكر والتعب ، اذا سئلوا غضبوا واذا نفروا هربوا ، القيعه رأس مالمهم ، والخرق [الحق] والطيش خير خصلهم ، يتحلون بما ليس فيهم ، ويتنافسون فيما يرذلهم ، الصيانة عنهم بمعزل ، وهم من الخنى والجهل في جوف منزل . وقد قال صلى الله عليه وسلم : [المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور] . وقد قيل : من تحلى بغير ما هو فيه فضحته شواهد الامتحان ، وجرى في السباق جرية كبت نفته الجياد عند الرمان .

قال حكي عن بعضهم أنه سئل عن [الحاقة] فقال : الحاقة : جماعة من الناس اذا صاروا في المجلس قالوا : كنا في الحاقة : وقال آخر : في قوله تعالى : [يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي] قال : أمر الأرض باخراج الماء ، والسماء بصب الماء وكأنه على القلب . وعن بعضهم في قوله تعالى : [واذا الموءدة سئلت^٢] قال : إن الله ليسألكم عن الموءدات فيما بينكم

(١) سورة هود رقم : ٤٤

(٢) سورة التكوين رقم : ٨

في الحياة الدنيا . وقال آخر في قوله تعالى : [فليتنافس المتنافسون] قال :
إنهم تعبوا في الدنيا ، فإذا ادخلوا الجنة تنعموا .

قال أبو القاسم : سمعت أبي يقول : سمعت علي بن محمد الوراق
يقول : سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول : أفواه الرجال حوائيتها وألسانها
صنائعها ، فإذا فتح الرجل باب حانوته تبين العطار من اليطار ، والتبار من
الزمار ، والله المستعان على سوء الزمان وقلة الأعوان .

وأما وجه الحاجة إليه : ان القرآن انما نزل بلسان عربي في زمن أفصح
العرب ، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه أما دقائق باطنه فانما كان يظهر لهم
بعد البحث والنظر مع سؤا لهم النبي صلى الله عليه وسلم في الاكثر كسؤا لهم
لما نزل قوله : [أو لم يلبسوا إيمانهم بظلم] فقالوا : وأينا لم يظلم نفسه ، ففسره
النبي صلى الله عليه وسلم بالشرك ، واستدل عليه بقوله تعالى [ان الشرك
لظلم عظيم] . وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير فقال : ذلك العرض .
وكقصة عدى بن حاتم في الخيط الابيض والأسود وغير ذلك مما سألوا
عن آحاد منه ، ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ذلك
لما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير
تعلم ، فنحن أشد الناس احتياجا الى التفسير . ومعلوم ان تفسير بعضه
يكون من قبل الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها وبعضه من قبل ترجيح بعض
الاحتمالات على بعض . ١٠

وقال الخويبي : علم التفسير عسر يسير ، أما عسره فظاهر من وجوه
أظهرها أنه كلام متكلم لم تصل الناس الى مراده بالسباع منه ولا امكان
الوصول اليه ، بخلاف الامثال والاشعار ونحوها فان الانسان يمكن عليه
منه إذا تكلم بان يسمع منه أو يمن سماع منه . و أما القرآن فتفسيره
على وجه القطع لا يعلم الا بان يسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم
وذلك متعذر إلا في آيات قلائل . فالعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل
والحكمة فيه أن الله تعالى اراد أن يتفكر عباده في كتابه فلم يأمر نبيه
بالتنصيص على المراد في جميع آياته . و أما شرفه فلا يخفى ، قال تعالى :
[يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا] .

وأخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق ابن أبي طلحة عن ابن
عباس في قوله تعالى : يؤتى الحكمة - قال : المعرفة بالقرآن وناسخه ومنسوخه ،
ومحكمه ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه ، وأمثاله .

وأخرج ابن مردويه من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس
مرفوعا - يؤتى الحكمة - قال : القرآن . قال ابن عباس : يعنى تفسيره .
وأخرج البيهقي وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعا [أعربوا القرآن واتمسوا
غرائبه] الى غير ذلك من الأحاديث الواردة في شرف - تفسير القرآن .
وقد أجمع العلماء على أن التفسير من فروض الكفايات وأجل العلوم
الثلاثة الشرعية .

وقال الاصبهاني : أشرف صناعة يتعاطاها الانسان تفسير القرآن .

يان ذلك أن شرف الصناعة : اما بشرف موضوعها مثل الصياغة فانها أشرف من الدباغة لأن موضوع الصياغة الذهب و الفضة وهما أشرف من موضوع الدباغة ، الذى هو جلد الميتة . و اما بشرف غرضها مثل صناعة الطب ، فانها أشرف من صناعة الكناسة لأن غرض الطب إفادة الصحة وغرض الكناسة تنظيف المستراح . وإما بشدة الحاجة اليها كالفقه ، فان الحاجة إليه أشد من الحاجة إلى الطب . إذ ما من واقعة فى الكون فى أحد من الخلق الا وهى مفتقرة الى الفقه ، لأن به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين ، بخلاف الطب فانه يحتاج اليه بعض الناس فى بعض الاوقات . اذا عرف ذلك فصناعة التفسير . قد حازت الشرف من الجهات الثلاث .

أما من جهة الموضوع فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذى هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة ، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه .

و أما من جهة الغرض فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى و الوصول الى السعادة الحقيقية التى لا تقضى .

و أما من جهة شدة الحاجة إليه فلأن كل كمال دنى أو دنوى عاجلى أو آجلى مفتقر إلى العلوم الشرعية و المعارف الدينية وهى متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

(شروط المفسر و آدابه)

قال العلماء :

من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن فما أجمل منه
في مكان فقد فسر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان فقد بسط في
موضع آخر منه . وقد ألف ابن الجوزي كتابا فيما أجمل في القرآن في
موضع وفسر في موضع آخر منه . فان أعياه ذلك طلبه من السنة فانها
شارحة للقرآن وموضحة له .

وقد قال الشافعي رضى الله عنه : كل ما حكم به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فهو بما فهمه من القرآن . قال تعالى : (انا أنزلنا إليك الكتاب
بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) .

وقال صلى الله عليه وسلم : { ألا انى أوتيت القرآن ومثله معه } يعنى
السنة . فان لم يجد في السنة رجع الى أقوال الصحابة فانهم أدرى بذلك
لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزول القرآن ولما اختصوا به من
الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح : وقد روى الحاكم في المستدرک :

(١) سورة النساء رقم : ١٠٥

أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والنزل له حكم المرفوع . وقد ذكر العلماء في المفسر شروطا عديدة نورد أهمها فيما يأتي :

١ - صحة الاعتقاد :

فإن العقيدة لها أثرها في نفس صاحبها وكثيرا ما تحمل ذوبها على تحريف النصوص والخيانة في نقل الاخبار فاذا صنف أحدهم كتابا في التفسير أول الآيات التي تخالف عقيدته وحملها باطل مذهبه ، ليصد الناس عن اتباع السلف ، ولزوم طريقة الهدى .

٢ - اعتماد على النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ومن عاصروهم ويتجنب المحدثات ، وإذا تعارضت أقوالهم وامكن الجمع بينها فعل وان تعارضت رد الأمر الى ما ثبت فيه السمع ، فان لم يجد سمعا وكان للاستدلال طريق إلى تقوية أحدهما رجح ما قوى الاستدلال فيه كاختلافهم في معنى [حروف الهجاء] يرجح قول من قال إنها قسم وإن تعارضت الأدلة في المراد علم أنه قد اشتبه عليه فيؤمن بمراد الله تعالى ولا يتهجم على تعيينه ويزاه منزلة المجل قبل تفصيله والمثابه قبل تبيينه .

٣ - صحة المقصد :

فيما يقول ليلقي التسديد ، فقد قال تعالى : [والذين جامدوا فينا لنهدينهم سبلنا] وأما يخلص له المقصد اذا زهد في الدنيا لأنه اذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به الى غرض يصد عنه صواب ويفسد عليه صحة عمله .

٤ - الالم بالغة العربية وفروعها :

فان القرآن نزل بلسان عربي مبين ويتوقف فهمه على شرح مفردات الالفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع ، قال مجاهد : [ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب] والمعاني تختلف باختلاف وجوه الاعراب .

وقال ابن تيمية في كتاب ألفه في هذا النوع : يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه . قال تعالى : [لتبين للناس ما نزل إليهم] يتناول هذا وهذا .

وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرؤون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلوها ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فعملنا القرآن والعلم والعمل جميعا .

وقد نقل السيوطي عن الزركشي [في البرهان] خلاصة الشروط التي لا بد منها لإباحة التفسير بالرأى ، فرأها تدرج تحت أربعة :
الأول : النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع التحرز عن الضعيف والموضوع .

الثاني : الأخذ بقول الصحابي ، فقد قيل : انه في حكم المرفوع مطلقا وخصه بعضهم بأسباب النزول ونحوها بما لا مجال للرأى فيه .

الثالث : الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات الى ما لا يدل

عليه الكثير من كلام العرب .

الرابع : الأخذ بما يقتضيه الكلام ؛ ويدل عليه قانون الشرع و هذا النوع الرابع هو الذى دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس فى قوله :
[اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل] .

٥ - التجرد عن الهوى :

فالأمواه تدفع أصحابها الى نصرة مذهبهم ، فيغرون الناس بلبين الكلام ولحن البيان .

٦ - العلم باصول العلوم المتصلة بالقرآن :

كلام القراءات لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن و ترجيح بعض وجوه الاحتمال على بعض ، وعلم التوحيد حتى لا يؤول آيات الكتاب التى فى حق الله وصفاته تأويلا يتجاوز به الحق - وعلم الاصول ، وأصول التفسير خاصة مع التعمق فى أبوابه التى لا يتضح المعنى ولا يستقيم المراد بدونها ، كبرقة أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ونحو ذلك .

٧ - دقة الفهم :

التي تمكن المفسر من ترجيح معنى على آخر ، أو استنباط معنى يتفق مع نصوص الشريعة .

واما العلوم التى يحتاج اليها المفسر فهى خمسة عشر علما اليك يانها :
أحدا : اللغة لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ و مدلولاتها بحسب الوضع . قال مجاهد : لا يحل لأحد يؤمن بالله و اليوم الآخر

ان يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب .

الثاني : النحو ، لأن المعنى يتغير و يختلف باختلاف الاعراب فلا بد من اعتباره .

الثالث : التصريف لأن به تعرف الابنية والصيغ .

الرابع : الاشتقاق لأن الاسم اذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما كالمسيح هل هو من السياحة او المسح .

الخامس و السادس و السابع : المعاني و البيان و البديع لأنه يعرف بالاول خواص تراكيب الكلام من جهة افادتها المعنى ، و بالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة و خفائها و بالثالث وجوه تحسين الكلام وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة ، وهي من أعظم اركان المفسر .

الثامن : علم القراءات لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن ، و بالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض .

التاسع : أصول الدين بما في القرآن من الآية بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى .

العاشر : أصول الفقه إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط .
الحادى عشر : اسباب النزول و القصص ، إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه .

الثاني عشر : الناسخ و المنسوخ ليعلم المحكم من غيره .

الثالث عشر : الفقه .

الرابع عشر : احاديث الميينة لتفسير المجمل والمبهم .

الخامس عشر : علم الموهبة و هو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم ،
واليه الاشارة بحديث [من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم] .

[آداب المفسر]

ذكر العلماء فى المفسر آدابا عديدة نجمل أهمها فيما يلى :

١ - حسن النية وصحة القصد :

فاتما الأعمال بالنيات ، و العلوم الشرعية أولى بأن يكون هدف صاحبها
منها الخير العام ، واسداء المعروف لصالح الاسلام و ان يتطهر من
أعراض الدنيا ليسدد الله خطاه ، والانتفاع بالعلم ثمرة الاخلاص فيه .

٢ - حسن الخلق :

فالمفسر فى موقف المؤدب ، ولا تبلغ الآداب مبلغها فى النفس الا اذا
كان المؤدب مثالا يحتذى فى الخلق والفضيلة .

٣ - الامتثال والعمل :

فان العلم يجد قبولاً من العالمين أضعاف ما يجد من سمو معارفه
ودقة مباحثه - وحسن السيرة يجعل المفسر قدوة حسنة لما يقرره من
مسائل الدين ، وكثيرا ما يصد الناس عن تلقى العلم من بحر زاهر فى
المعرفة لسوء سلوكه وعدم تطبيقه .

- ٤ - تحرى الصدق والضبط في النقل :
- فلا يتكلم أو يكتب الا من ثبت لما يرويه حتى يكون في مأمن من التصحيف واللحن .
- ٥ - التواضع و لين الجانب :
- ٦ - عزة النفس :
- فن حق العالم أن يترفع عن سفاسف الامور .
- ٧ - الجهر بالحق :
- فأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر .
- ٨ - حسن السمعة :
- الذى يكسب المفسر مية و وقارا في مظهره العام و جلوسه و وقوفه و مشيته دون تكلف .
- ٩ - الأناة والروية :
- فلا يسرد الكلام سردا بل يفصله و يبين عن محارج حروفه .
- ١٠ - تقديم من هو أولى منه - فلا يتصدى للتفسير بحضرتهم و هم أحياه و لا يغمطهم حقهم بعد المات بل يرشد إلى الاخذ عنهم و قراءة كتبهم .
- ١١ - حسن الاعداد وطريقة الآداء :
- كان يبدأ بذكر سبب النزول ثم معاني المفردات و شرح التراكيب و بيان وجوه البلاغة و الاعراب الذى يتوقف عليه تحديد المعنى ، ثم يبين

المعنى العام ويصله بالحياة العامة التي يعيشها الناس في عصره ، ثم يأتي الى الاستنباط والاحكام .

أما ذكر المناسبة و الربط بين الآيات أولا و آخرها فذلك حسب ما يقتضيه النظم و السياق .

بسم الله الرحمن الرحيم

(نشأة علم التفسير)

بما لا ريب فيه أن التفسير مر بأطوار كثيرة حتى اتخذ هذه الصورة التي نَجده عليها الآن في بطون المؤلفات والتصانيف ، بين مطبوع ومخطوط ولقد نشأ التفسير مبكرا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان أول شارح لكتاب الله ، يبين للناس ما نزل على قلبه ، أما صحابته الكرام فما كانوا يحرّون على تفسير القرآن وهو عليه السلام بين أظهرهم ، يتحمل هذا العبء العظيم ، وبوديه حق الاداء ، حتى إذا لحق عليه السلام بالرفيق الاعلى لم يكن بد للصحابة العلماء بكتاب الله ، الواقفين على أسرارهِ ، المهتمدين بهدى النبي صلى الله عليه وسلم ، من أن يقوموا بقسطهم في بيان ما علوه وتوضيح ما فهموه ، والمفسرون من الصحابة كثيرون الا أن مشاهيرهم عشرة : [الخلفاء الاربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الاشعري ، وعبد الله بن الزبير .

أما الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . والرواية عن الثلاثة نزره جدا ، وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم . وأجدد هؤلاء العشرة بلقب المفسر هو عبد الله بن عباس

الذى شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم ، ودعا له بقوله : [اللهم فقّهه في الدين ، وعلمه التأويل] وسماه ترجمان القرآن .

[التفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه]

كان الصحابة رضوان الله عليهم يعتمدون في تفسيرهم للقرآن في هذا العصر على ما يأتي : أولا : القرآن الكريم :

فما جاء بجملا في موضع جاء مبينا في موضع آخر ، تأتي الآية مطلقة أو عامة ، ثم ينزل ما يقيد ما أو يخصها ، وهو الذي يسمى : بتفسير القرآن بالقرآن ولهذا أمثلة كثيرة فقصص القرآن جاء موجزا في بعض المواضع ومسها في مواضع أخرى .

وقوله تعالى : [أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم] فسرّه آية [حرمت عليكم الميتة ^٢] وقوله تعالى : [لا تدركه الابصار ^٢] فسرّه آية [الى ربها ناظرة ^٤]

ثانيا : النبي صلى الله عليه وسلم :

فهو المبين للقرآن ، وكان الصحابة يرجعون اليه اذا أشكل عليهم فهم آية من الآيات . عن ابن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية [الذين آمنوا

(١) سورة المائدة رقم : ١

(٢) سورة المائدة رقم : ٣

(٣) سورة الانعام رقم : ١٠٣

(٤) سورة القيامة رقم : ٣٣

ولم يلبسوا ايمانهم بظلم^١] شق ذلك على الناس فقالوا : يا رسول الله و اينا لا يظلم نفسه ؟ قال : انه ليس الذي تعنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح [ان الشرك اظلم عظيم^٢] كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبين لهم ما يشاء عند الحاجة . عن عقبه بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر [وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة^٣] . الا و ان القوة الرمي .

و عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الكوثر نهر أعطانيه ربي في الجنة] وقد أفردت كتب السنة بابا للتفسير بالمأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الله تعالى : [و ما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون] و من القرآن ما لا يعلم تاويله الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم كتفصيل وجوه أمره ونهيه ، ومقادير ما فرضه الله من الأحكام ، و هذا البيان هو المقصود بقوله صلى الله عليه وسلم [الا و اني أوتيت الكتاب ومثله معه] .

ثالثا : الفهم و الاجتهاد : فكان الصحابة إذا لم يجدوا التفسير في كتاب الله تعالى و لم يجدوا شيئا في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه

(١) سورة الانعام رقم : ٨٢

(٢) سورة لقمان رقم : ١٣

(٣) سورة الانفال رقم : ٦٠

(٤) سورة النحل رقم : ٦٤

وسلم اجتهدوا في الفهم ، فانهم من صميم العرب بل من أخلصهم وأصرحهم ، يعرفون العربية ، ويحسنون فهمها ، ويعرفون وجوه البلاغة فيها . ولا شك ان التفسير بالمأثور عن الصحابة له قيمته . وذهب جمهور العلماء الى أن تفسير الصحابي له حكم المرفوع اذا كان بما يرجع الى أسباب النزول وكل ما ليس للرأى فيه مجال .

أما ما يكون للرأى فيه مجال فهو موقوف عليه ما دام لم يسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والموقوف على الصحابي من التفسير يوجب بعض العلماء الأخذ به لأنهم أهل اللسان ، ولما شاهدوه من القرائن والاحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم الصحيح .

قال الزركشي في البرهان : [اعلم أن القول قسمان : قسم ورد تفسيره بالنقل ، وقسم لم يرد . والاول اما ان يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو أكابر التابعين - فالاول يبحث فيه عن صحة السند والثاني ينظر في تفسير الصحابي ، فان فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتماده . أو بما شاهدوه من الأسباب والقرائن فلا شك فيه] .

(التفسير في عصر التابعين)

وتلقى أقوال الصحابة نقر من كرام التابعين في الامصار الاسلامية

المختلفة فنشأت في مكة طبقة للفسرين ، وفي المدينة طبقة ثانية ، وفي العراق
ثالثة ، قال ابن تيمية : [أعلم الناس بالتفسير أهل مكة ، لانهم أصحاب ابن
عباس كجماد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس ، وسعيد بن جبير
وطاوس وغيرهم ، وكذلك في الكوفة أصحاب ابن مسعود وعلاء أهل المدينة
في التفسير مثل زيد بن أسلم الذى أخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد ومالك
ابن أنس ، وعن التابعين أخذ تابعو التابعين ، فجمعوا أقوال من تقدمهم
وصنفوا التفاسير ، كما فعل سفيان بن عيينة ؛ ووکیع بن الجراح ؛ وشعبة
ابن الحجاج ؛ ويزيد بن هارون ؛ وعبد بن حميد . فكانوا بذلك أرواحا
لابن جرير الطبرى الذى يوشك المفسرون جميعا من بعده أن يكونوا عالة
عليه .

وبعد ذلك اتجه العلماء في تفاسيرهم اتجاهاً متباينة ، فكان ما يسمى
[بالتفسير بالمأثور] وهو امتداد للتفسير السابقة المسندة إلى الصحابة والتابعين
وتابعيهم ، وكان يسمى [بالتفسير بالرأى] وفيه تعددت المناهج وتضاربت
الأفكار فحمد بعضه وذم بعضه ، تبعاً لقربه من هداية القرآن أو بعده عنها .
[ألف] - وأجل التفاسير بالمأثور هو تفسير ابن جرير الطبرى ، ويسمى
كتابه [جامع البيان] في تفسير القرآن ، ومن خصائصه أنه عرض فيه
لأقوال الصحابة والتابعين مع تحوير أسانيدهم ، وترجيح بعضها عن بعض ،
واستنباط الكثير من الأحكام وذكر بعض وجوه الأعراب التى تزيد المعنى
وضوحاً غير أنه اعتمداً منه على معرفة الناس حال الأسانيد كان أحياناً يغفل

بعضها ويذكر منها غير الصحيح دون أن ينبه عليه .

و يقرب من تفسير الطبري وربما يفوقه في بعض الأمور تفسير ابن كثير [عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي] المتوفى ٥٧٧٤ هـ ومن مزاياه الدقة في الاسناد . وبساطة العبارة ، ووضوح الفكرة . وتبعاً لهذا المنهج ألف السيوطي كتابه القيم [الدر المنثور في التفسير بالمأثور] وقد اعتمد فيه - كما يفهم من عنوانه - على الأخبار الصحيحة المأثورة التي تجعله أقرب إلى الفكرة الإسلامية منه إلى الشروح الانسانية . لكن التفسير بالمأثور معرض غالباً للنقد الشديد ، لأن الصحيح من الروايات قد اختلط بغير الصحيح ، ولا تنسى ما لزيادة اليهود والفرس من نشاط لا يحمله أحد في الدس على الاسلام وتشويه تعاليمه السمحاء ، وما لاصحاب المذاهب والشيع من ولوع غريب بجمع معاني القرآن وتزييلها وفق هواهم ، فكان على المفسر بالمأثور أن يدقق في تعبيره ويحترس في روايته ويختاط كثيراً في ذكر الأسانيد .

[ب] - أما التفسير بالرأى فقد اختلف العلماء فيه فمن محرم له ومن يجوز لكن اختلافهم يؤول في النهاية إلى أن المحرم منه هو الجزم بأن مراد الله كذا من غير برهان أو محاولة تفسير الكتاب الكريم مع جهل المفسر بقواعد اللغة وأصول الشرع ، أو تأييد بعض الأهواء بآيات من القرآن زوراً وبهتاناً أما إذا كان الشروط المطلوبة متوافرة في المفسر فلا مانع من محاولة [التفسير بالرأى] المحمود ، بل لعلنا لا نبعد إن قلنا : إن القرآن نفسه يدعو

الى هذا الاجتهاد في تدبر آياته وفقه تعالیه .

قال تعالى : [افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها]

وقال تعالى : [كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو

الالباب]^٢ .

والتفسير بالرأى الجائز حتى مع استيفائه جميع الشروط التي تجعله محمودا لا مسوغ له إذا عارضه التفسير بالمأثور الذي ثبت لنا بالنص القطعي لأن الرأى اجتهاد ، ولا مجال للاجتهاد في مورد النص ، أما إذا لم يكن تعارض بين التفسير بالرأى المحمود والتفسير بالمأثور فكل منهما يؤيد الآخر ويثبت ، وذلك أكثر ما نجد في كتب التفسير كالأقوال الكثيرة في تفسير قوله تعالى [فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله]^٣ فالسابق من رجحت حسناته والمقتصد من استوت حسناته وسيآته ، والظالم المرتكب لبعض المحرمات على رأى ، والسابق المخلص ، والمقتصد المرائى ، والظالم كافر النعمة غير الجاحد لها على رأى ثان ، والسابق هو الذى تمحض للخير والمقتصد هو الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئا ، والظالم هو المرجأ إلى أمر الله عزوجل على رأى ثالث ومكذا وهى أقوال كما ترى ليس بينها تواف ولا تعارض .

(١) سورة محمد رقم : ٢٢

(٢) سورة ص رقم : ٢٩

(٣) سورة فاطر رقم : ٣٢

[ج] - وتفسير الفرق الاسلامية المختلفة ترجع - في الحقيقة - الى التفسير بالرأى ، غير أنها تدخل في النوع المذموم منه ، لأن أصحابها لم يؤلفوها الا لتأييد أهوائهم ، أو الانتصار لمذاويهم ومواجيدهم ، من ذلك تفسير المعتزلة والمتصوفة والباطنية .

ويغلب على تفسير المعتزلة الطابع العقلي ، والمذهب الكلامي ، تبعا لقاعدتهم المشهورة [الحسن ما حسنه العقل ، والفقيح ما فجه العقل] ولا ترد النصوص النبوية فيها إلا على أنها شيء ثانوي ، نادرا ما يلجئون إليه لشرح معاني الآيات ، وخير من يمثل هذه النزعة العقلية في التفسير الزمخشري [محمد ابن عمر الملقب بجار الله المتوفى ٥٣٨ هـ] في كتابه [الكشاف] الذي يمتاز بإيراد النكات البلاغية وتحقيق بعض وجوه الإعجاز ، وهو إلى ذلك خال من الاسرائ依ليات التي تكثر في بعض كتب التفسير بالمأثور وعبارته بليغة موجزة ليس فيها حشو وتطويل .

وإليك نموذجا من تفسيره : قال في بيان قوله تعالى [ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة] فان قلت : لم أسند الختم إلى الله تعالى واسناده إليه يدل على فعل القنيع بدليل [وما انا بظلام للعبيد] [وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون] . [ان الله لا يأمر بالفحشاء] .

ثم أول اسناد الحتم الى الله تعالى بان الكلام استعارة أو مجاز ،
على معنى أن الشيطان هو الخاتم أو الكافر ، وأسند إلى الله تعالى لأنه هو
الذى أقدره . ومكنه إلى غير ذلك من التفسيرات المتصوفة والاشارية [وهذا
تفسير باطل] .

[د] - هذا واننا نضطر أحيانا للرجوع إلى نوع معين من التفسيرات :
فاذا كنا نبحث عن النكات البلاغية رجعنا إلى الزمخشري وإذا التمسنا المباحث
الكلامية رجعنا إلى الرازي ، وإذا اردنا اعراب القرآن فعلينا بالبحر المحيط .
لأبي حيان الاندلسي [المتوفى سنة ٧٤٥] فقيه كثير من المباحث النحوية ،
والمسائل المتعلقة بالقراءات كما أنه لا يعنى بالنصوص النبوية الا قليلا ، فليس
من باب التفسير بالمأثور .

[هـ] - وقد ألفت في القرن الأخير تفسير لبعض العلماء المعاصرين
فيها محاولات للتجديد ، وأقلها نصيبا من النجاح - بلا ريب - [الجواهر في
تفسير القرآن] للطنطاوى جوهرى ، فان في تفسيره كل شيء ما عدا التفسير .

أما تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا فانه نمط خاص في تأويل كلام
الله يرجع به مؤلفه غالبا الى آثار السلف محاولا التوفيق بينها وبين مقتضيات
العصر الحاضر ، ويحالفه النجاح في أكثر هذه المحاولات . الا أنه أحيانا
يستمسك ببعض الآراء الضعيفة ويدافع عنها بقوة وعناد والمنهج الذى
يصدر عنه يدل - بوجه عام - على تعمقه للاسلوب القرآنى ، ودراسته له

على أنه للهداية والاعجاز ، وللشهادة سيد قطب في تفسيره [ظلال القرآن]
لمحات مرفقة في فهم أسلوب القرآن في التعبير والتصوير . إلا أن الغرض
الأول منه تبسيط المبادئ القرآنية للنشئ ، فهو إلى التوجيه أقرب منه إلى
التعليم .

والتفسير بالمأثور إذا اجتمع إليه حسن الاستنباط ، وسعة الثقافة
والمقدرة على الترجيح هو أولى التفاسير بالاعتبار . ونحن مع ذلك لا ننصح
بالاقتصار عليه . فلا بد لنا لتأويل الآية أو الآيات من الرجوع إلى مختلف
التفاسير ، ثم نحاول أن نختار لأنفسنا أصلح الآراء فيها ، إلى أن يثبت لنا
على وجه القطع أثر صحيح في الموضوع فناخذ به ونطرح ما عداه ، إذ لا
مسوغ للاجتهاد في مورد النص .

بسم الله الرحمن الرحيم

(التفسير بالمأثور)

التفسير بالمأثور : هو الذى يعتمد على صحيح المنقول بالمراتب التى ذكرت سابقا فى شروط المفسر ، من تفسير القرآن بالقرآن ، أو بالسنة لأنها جاءت مبنية لكتاب الله ، أو بما روى عن الصحابة لأنهم أعلم الناس بكتاب الله ، أو بما قاله كبار التابعين لأنهم تلقوا ذلك غالبا عن الصحابة . وهذا المسلك يتحرى الآثار الواردة فى معنى الآية فيذكرها ولا يجتهد فى بيان معنى من غير أصل ، ويتوقف عما لا طائل تحته ولا فائدة فى معرفته ما لم يرد فيه نقل صحيح .

قال ابن تيمية : يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معانى القرآن كما بين لهم ألفاظه فقولته تعالى [لذين للناس ما نزل إليهم] يتناول هذا وهذا ، وقد قال أبو عبد الرحمن السلمى حدثنا الذين كانوا يقرءونا القرآن كعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود وغيرهما : أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات

(١) هو عبد الله بن حبيب التابعى المقرئ المتوفى سنة ٧٢ هـ وهو غير أبي

عبد الرحمن السلمى الصوفى المتوفى ٤١٢ هـ .

لم يتجاوزوا حتى يعلوا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا . ولهذا كانوا يقون مدة في حفظ السورة .

قال أنس : [كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا] رواه أحمد في مسنده ، وأقام ابن عمر على حفظ البقرة ثمان سنين ، أخرجه مالك في الموطأ وذلك أن الله تعالى قال : [كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته] وقال [أفلا يتدبرون القرآن] وتدبر القرآن بدون فهم معانيه لا يتاقى ، وأيضا فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه . فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودينام .

و من التابعين من أخذ التفسير كله عن الصحابة ، عن مجاهد قال : [عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته ، أستوقفه عند كل آية وأسأله عنها] .

[الاختلاف فيه]

و التفسير بالماثور يدور على رواية ما نقل عن صدور هذه الأمة وكان الاختلاف بينهم قليلا جدا بالنسبة إلى من بعدهم ، وأكثره لا يعدو أن يكون خلافا في التعبير مع اتحاد المعنى ، أو يكون من تفسير العام ببعض أفراد على طريق التمثيل ، قال ابن تيمية : [والخلاف بين السلف في التفسير قليل ، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، وذلك نوعان : أحدهما : أن يعبر واحد منهم عن المراد

بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى ، كتفسيرهم [الصراط المستقيم] قال بعضهم : القرآن أى اتباعه ، وقال بعضهم : الاسلام . فالقولان متفقان لأن دين الاسلام هو اتباع القرآن ، ولكن كل منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر .

الثانى : أن يذكر كل منها من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل و تنبيه المستمع على النوع ومثاله ما نقل في تفسير قوله تعالى : [ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا] الآية وقد أسهبنا القول في تفسيرها كما تقدم .

وقد يكون الاختلاف لاحتمال اللفظ أمرين كلفظ [عسس] الذى يراد به إقبال الليل وادباره .

[حكم التفسير بالمأثور]

التفسير بالمأثور هو الذى يجب اتباعه والاخذ به لأنه طريق المعرفة الصحيحة و هو آمن سبيل للحفظ عن الزلل و الزيغ فى كتاب الله ، وقد روى عن ابن عباس أنه قال : [التفسير على أربعة اوجه وجه تعرفه العرب من كلامها ، و تفسير لا يعذر أحد بجهالة ، و تفسير يعلمه العلماء ، و تفسير لا يعلمه أحد [إلا الله] .

فالذى تعرفه العرب هو الذى يرجع فيه الى لسانهم ببيان اللغة و الذى لا يعذر أحد بجهالة : هو ما يتبادر فهم معناه الى الأذهان من النصوص

المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد ولا لبس فيها فكل امرئ يدرك معنى التوحيد من قوله تعالى : [فاعلم أنه لا إله إلا الله] وإن لم يعلم أن هذه العبارة وردت بطريق النفي والاستثناء فهي دالة على الحصر .

و أما ما لا يعلمه إلا الله فهو المغيبات ، حقيقة قيام الساعة ، وحقيقة

الروح .

و أما ما يعلمه العلماء : فهو الذي يرجع إلى اجتهادهم المعتمد على الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي ، من يان مجمل أو تخصيص عام أو نحو ذلك .

بسم الله الرحمن الرحيم

(مناهج المفسرين بالماثور)

١ - تنوير المقياس لابن عباس .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

يمتاز ابن عباس برجوعه في فهم معاني ألفاظ القرآن الكريم إلى الشعر العربي ، لمعرفته ببلغة العرب وإلمامه بديوانها . وتتعدد الروايات عن ابن عباس ، وتتفاوت صحة وضعها ، وقد تتبع العلماء هذه الروايات وكشفوا عن مبالغها من الصحة .

٢ - جامع الديان في تفسير القرآن للطبري .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

وهو تفسير عظيم القيمة ، لا غنى لطالب العلم عنه ، قال السيوطي : [و كتابه - يعنى تفسير محمد بن جرير - أجل التفاسير وأعظمها ، فانه يتعرض لتوجيه الاقوال ، وترجيح بعضها على بعض ، والاعراب ، والاستنباط ، فهو يفوق بذلك على تفاسير الاقدمين] . وقال النوى : أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري .

طريقة ابن جرير في تفسيره :

أنه إذا أراد أن يفسر الآية من القرآن يقول : [القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا] ثم يفسر الآية مستشهدا ما يرويه بسنده الى الصحابة أو التابعين من التفسير بالماثور عنهم و يعرض لكل ما روى في الآية . ولا يقتصر على مجرد الرواية ؛ بل يوجه الاقوال ويرجح بعضها على بعض كما يتعرض للاحية الاعراب ان دعت الحال الى ذلك ، ويستنبط بعض الاحكام وقد يقف من السند موقف الناقد البصير أحيانا ، فيعدل من رجال الاسناد ، ويمرح من يمحرج منهم ، و يرد الرواية التي لا يثق بصحتها ويعتني ابن جرير بذكر القراءات وتوجيهها ، ويقال انه ألف فيها مؤلفا خاصا ، ومع روايته الاخبار الماخوذة من القصص الاسرائيلي فانه كثيرا ما يتعقبها بالبحث .

ويعتمد ابن جرير على الاستعمالات اللغوية بجانب الروايات المنقولة ، ويستشهد بالشعر القديم ؛ ويهتم بالمذاهب النحوية ويحكم إلى المعروف من لغة العرب ، ويعالج الاحكام الفقهية مجتهدا ، فيذكر أقوال العلماء ومذاهبهم ، ويخلص من ذلك برأى يختاره لنفسه ويرجحه .

و يناقش مسائل العقيدة مناقشة فاحصة ، يرد فيها على الفرق ومذاهب أهل الكلام ، وينتصر لأهل السنة والجماعة .

٣ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية .

التعريف بهذا الكتاب وطريقة مؤلفه فيه :

كثير الاهتمام بالشواهد الأدبية ، والصناعة النحوية .

ويقارن ابن حيان في مقدمة تفسيره بينه وبين تفسير الزمخشري فيقول :
 [وكتاب ابن عطية انقل ، وأجمع ، وأخلص ، وكتاب الزمخشري ألخص
 وأغوص] . ويعقد ابن تيمية مقارنة بين الكتابين كذلك فيقول : [وتفسير
 ابن عطية خير من تفسير الزمخشري ، وأصح نقلا وبجنا ، ولبعد عن البدع
 وإن اشتمل على بعضها بل هو خير منه بكثير بل لعله أرجح هذه التفاسير]
 ويقول ابن تيمية كذلك : [وتفسير ابن عطية وأمثاله أنبع للسنة والجماعة ،
 وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري ، ولو ذكر كلام السلف الموجود
 في التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجل . فانه كثيرا ما
 ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري وهو من أجل التفاسير وأعظمها
 قدرا ثم انه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال ، ويذكر ما
 يزعم أنه قول المحققين وإنما يعنى بهم طائفة من أهل الكلام الذين قدروا
 أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم وإن كان أقرب إلى
 السنة من المعتزلة] .

٤ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير :

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

من أشهر ما دون في التفسير بالمأثور ، و يأتي في المرتبة الثانية
 بعد كتاب ابن جرير فهو يفسر كلام الله بالاحاديث والآثار مسندة إلى

اصحابها مع الكلام عما يحتاج اليه جرحا وتعديلا وترجيح بعض الاقوال
على بعض وتضعيف بعض الروايات وتصحيح بعضها الآخر .

و يمتاز ابن كثير بانه ينبه في كثير من الاحيان الى ما في التفسير
بالمأثور من منكرات الاسرائيليات كما يذكر أقوال العلماء في الأحكام الفقهية ،
و يناقش مناهجهم . وأدلتهم أحيانا .

بسم الله الرحمن الرحيم

(التعريف بأهم كتب المفسرين بالمأثور)

أما هذه الكتب التي وقع عليها الاختيار في التفسير بالمأثور فهي ما يأتي :

- ١ - تنوير المقياس من تفسير ابن عباس لابن عباس .
- ٢ - تفسير ابن عينة .
- ٣ - تفسير ابن أبي حاتم .
- ٤ - تفسير أبي الشيخ ابن حيان .
- ٥ - تفسير ابن عطية .
- ٦ - بحر العلوم لابن الليث السمرقندي .
- ٧ - الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي اسحاق .
- ٨ - جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري .
- ٩ - تفسير ابن أبي شيبة .
- ١٠ - معالم التنزيل للبغوي .
- ١١ - تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء الحافظ ابن كثير .
- ١٢ - الجواهر الحسان في تفسير القرآن .
- ١٣ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي .
- ١٤ - فتح القدير للشوكاني .

بسم الله الرحمن الرحيم

(التعريف بأهم كتب المفسرين بالرأى الجائز)

أما هذه الكتب التي وقع عليها الاختيار ، فهي ما يأتي :

- ١ - مفاتيح الغيب للفخر الرازي
 - ٢ - أنوار التنزيل و أسرار التأويل لليضاضى
 - ٣ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي
 - ٤ - لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن
 - ٥ - البحر المحیط لأبي حيان
 - ٦ - غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابورى
 - ٧ - تفسير الجلالين للجلال المحلى و الجلال السيوطى
 - ٨ - السراج المنير فى الإعانة على معرفة
بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشريفي
 - ٩ - ارشاد العقل السليم الى مزايا
الكتاب الكريم لأبي السعود
 - ١٠ - روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم
و السبع المثاني . للألوسى
- هذه هي الكتب التي وقع عليها الاختيار وسأتكلم عنها على حسب
هذا الترتيب ، فاقول و بالله التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

(منهاج المفسرين) بالرأى الجائز

١ - مفاتيح الغيب للرازي .

ان تفسير الفخر الرازي ليحظى بشهرة واسعة بين العلماء ، وذلك
لأنه يمتاز عن غيره من كتب التفسير بالأبحاث الفياضة الواسعة في نواح
شتى من العلم ، ولهذا يصفه ابن خلكان فيقول : إن الفخر الرازي - جمع
فيه كل غريب وغريبة .

موقفه من علوم الفقه والأصول والنحو والبلاغة :

ان الفخر الرازي لا يكاد يمر بآية من آيات الاحكام الا ويذكر
مذاهب الفقهاء فيها ، مع ترويجه لمذهب الشافعي - الذي يقلده - بالادلة
والبراهين . وإهتم الفخر الرازي ببيان المناسبات بين آيات القرآن و سورة .
موقفه من المعتزلة :

إنه كسنى يرى ما يراه أهل السنة ، ويعتقد بكل ما يقرره من
مسائل علم الكلام - لا يدع فرصة تمر دون أن يعرض لمذهب المعتزلة
بذكر أقوالهم والرد عليها . ردا لا يراه البعض كافيا ولا شافيا .

٢ - أنوار التنزيل و اسرار التأويل للبيضاوى

التعريف بهذا التفسير و طريقة مؤلفه فيه :

تفسير البيضاوى جمع فيه صاحبه بين التفسير و التأويل على مقتضى قواعد اللغة العربية ، و قرر فيه الأدلة على أصول أهل السنة .

و قد إختصر البيضاوى تفسيره من الكشف للزخشرى ؛ ولكنه ترك ما فيه من اعتراضات ، و ان كان أحيانا يذهب الى ما يذهب اليه صاحب الكشف و من ذلك أنه عند ما فسر قوله تعالى [الذين ياكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس] و جدناه يقول الا قياما كقيام المصروع ، و هو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الانسان فيصرع ، ثم يفسر المس بالجنون . و يقول [و هذا أيضا من زعمهم أن الجن يمس الرجل فيختلط عقله] و هذا موافق لما ذهب إليه الزخشرى من أن الجن لا تسلط على الانسان إلا بالسوسة و الاغواء . كما اننا نجد البيضاوى وقع فيما وقع فيه صاحب الكشف ، من ذكره فى نهاية كل سورة حديثا فى فضلها و ما لقارنها من الثواب و الأجر عند الله ، و قد عرفت هذه الأحاديث بانها موضوعة باتفاق أهل الحديث و نحن نستنكر على البيضاوى صنيعه هذا مع ما له من مكانة علمية ، و إن كان بعض الناس قد تلبس له عذرا فذلك لا يكفى لتبرير هذا العمل الذى لا يليق بعالم كهذا

وقد ضمن تفسيره من أقوال الصحابة والتابعين . . ويندر فيه ذكر الروايات الاسرائيلية وخلاصة القول ، فالكتاب من أمهات كتب التفسير ، التي لا يستغنى عنها من يريد أن يفهم كلام الله تعالى ، ويقف على أسرارهِ ومعانيهِ

٣ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

هذا التفسير ، اختصره النسفي - رحمه الله - من تفسير البضاوي ومن الكشف للزخشري ، غير أنه ترك ما في الكشف من الاعتزالات وجرى فيه على مذهب أهل السنة والجماعة . وهو تفسير وسط بين الطول والقصر جمع فيه صاحبه بين وجوه الأعراب والقراءات وضمنه ما اشتمل عليه الكشف من النكت البلاغية والمحسنات البديعية والكشف عن المعاني الدقيقة الخفية ، وأورد فيه ما أورده الزخشري في تفسيره من الاسئلة والأجوبة ، لكن لا على طريقته من قوله : فإن قيل . . . قلت ، بل جعل ذلك في الغالب كلاما مدرجا في ضمن شرحه للآية كما أنه لم يقع فيها وقع فيه صاحب الكشف من ذكره للأحاديث الموضوعة في فضائل السور .

هذا وقد أورد النسفي في مقدمة تفسيره عبارة قصيرة ، أوضح فيها عن طريقته التي سلكها فيه ، وأرى أن أسوقها لك بنصها لتنام الفائدة . قال رحمه الله : [قد سألني من تتعين إجابته ، كتابا وسطا في

التاويلات ، جامعا لوجوه الاعراب و القراءات متضمنا لدقائق على البدع
والاشارات حافلا بأقاويل أهل السنة والجماعة ، خاليا عن أباطيل أهل البدع
والضلالة ليس بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخل ، وكنت أقدم فيه رجلا
وأخر أخرى ، استقصاراً لقوة البشر عن درك هذا الوطر ، وأخذاً
السييل الحذر عن ركوب متن الخطر ، حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوائق
كثيرة ، وأتممت في مدة يسيرة ، وسميته بمدارك التنزيل وحقائق التأويل .

خوضه في المسائل التحوية :

موقفه من القراءات :

وأما من ناحية القراءات فهو ملتزم للقراءات السبع المتواترة مع
نسبة كل قراءة الى قارئها .

خوضه في مسائل الفقه :

موقفه من الاسرائيليات :

وما نلاحظه على هذا التفسير أنه مقل جداً في ذكره للاسرائيليات
وما يذكره من ذلك يمر عليه بدون أن يتعقبه أحيانا ، وأحيانا يتعقبه
ولا يرتضيه .

٤ - لباب التأويل في معاني التنزيل : للخازن

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

هذا التفسير اختصره مؤلفه من معالم التنزيل للبغوى ، وضم إلى

ذلك ما نقله ولخصه من تفاسير من تقدم عليه ، وليس له فيه - كما يقول - سوى النقل والانتخاب ، مع حذف الأسانيد وتجنب التطويل والاسهاب . وهو مكثر من رواية التفسير بالمأثور الى حد ما يعنى بتقرير الاحكام وأدلتها ، يملؤه بالأخبار التاريخية ، والقصص الاسرائيل الذى لا يكاد يسلم كثير منه . امام ميزان العلم الصحيح والعقل السليم وأرى أن أسوق هنا ما قاله الخازن نفسه فى مقدمة تفسيره ، مبينا به طريقته التى سلكها ، ومنهجه الذى نهجه فيه ، وفيها غنى عن كل شئ . قال رحمه الله تعالى [ولما كان كتاب معالم التنزيل ، الذى صنفه الشيخ الجليل ، والحبر النذل الامام العالم بحى السنة ، قدوة الامة ، وامام الأئمة ، وفقى الفرق ، ناصر الحديث ، ظهير الدين ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى قدس الله روحه ونور ضريحه - من أجل المصنفات فى علم التفسير وأعلامها وأنبليها وأسناها جامعا للصحيح من الأقاويل ، عاريا عن الشبه والتصحيف والتبديل ، وبحلى بالاحاديث النبوية ، مطرزا بالاحكام الشرعية ، موشى بالقصص الغريبة ، وأخبار الماضين العجيبة ، مرصعا بأحسن الاشارات مخرجا بأوضح العبارات مفرغا فى قالب الجمال بأفصح مقال ، فرحم الله تعالى مصنفه وأجزل ثوابه وجمل الجنة متقلبه ومآبه] .

توسعه فى ذكر الاسرائيليات :

عنايته بالأخبار التاريخية :

كذلك نلاحظ على هذا التفسير أنه يفيض في ذكر الغزوات التي كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأشار إليها القرآن الكريم .
عنايته بالناحية الفقهية :
عنايته بالمواظ :
ثم ان هذا التفسير كثيرا ما يتعرض للمواظ والرقاق ، ويسوق احاديث الترغيب والترهيب ، ولعل نزعة الخازن الصوفية هي التي أثرت فيه فجعلته يعنى بهذه الناحية ويستطرد اليها عند المناسبات .

توسعه في ذكر الاسرائيليات :

حيث يتسع في ذكر القصص الاسرائيلي . وكثيرا ما ينقل ما جاء من ذلك عن بعض التفسيرات التي تعنى بهذه الناحية ، كتفسير الثعلبي وغيره .
عنايته بالناحية الفقهية : فاذا تكلم عن آية من آيات الاحكام ، استطرد إلى مذاهب الفقهاء فيها وأدلتهم .
هـ - البحر المحيط - لآبي حيان .
التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

يقع هذا التفسير في ثمان مجلدات كبار ، وهو مطبوع ومتداول بين أهل العلم ومعتبر عندهم المرجع الاول والامم لمن يريد أن يقف على وجوه الاعراب لألفاظ القرآن ، إذ أن الناحية النحوية هي أبرز ما فيه من البحوث التي تدور حول آيات الكتاب العزيز ؛ والمؤلف إذ يتكلم عن هذه

الناحية فهو ابن مجديتها وفارس حلقتها ، غير أنه - والحق يقال - قد أكثر من مسائل النحو في كتابه مع توسعه في مسائل الخلاف بين النحويين ، حتى أصبح الكتاب أقرب ما يكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير .

مذا وإن أبا حيان وإن غلبت عليه الصناعة النحوية في تفسيره إلا أنه مع ذلك لم يهمل ما عداها من النواحي التي لها اتصال بالتفسير ، فقرأه يتكلم على المعاني اللغوية للفردات ، ويذكر أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات الواردة مع توجيهها ، كما أنه لا يغفل الناحية البلاغية في القرآن ولا يهمل الأحكام الفقهية عند ما يمر بآيات الأحكام ، مع ذكره لما جاء عن السلف ومن تقدمه من الخلف في ذلك ، كل هذا على طريقة وضعها لنفسه ومشى عليها في كتابه وذلك حيث يقول : [وترتيبى في هذا الكتاب ، أنى ابتدئ . أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة لفظة فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب ، وإذا كان للكلمة معنيان أو معان ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه فيحمل عليه ، ثم أشرح في تفسير الآية ذاكرًا سبب النزول إذا كان لها سبب ، ونسخها ، ومناسبتها ، وارتباطها بما قبلها ، حاشداً فيها القراءات ، شاذها ومستعملها ذاكرًا توجيه ذلك في علم العريضة ، ناقلاً تاويل السلف والخلف في فهم معانيها متكلاً على جليها وخفيها ، بحيث أنى لا أغادر منها كلمة وإن اشتهرت

حتى أتكلّم عليها ، مبدى ما فيها من غوامض الاعراب ؛ ودقائق الآداب من بديع و بيان الخ .

هذا و إن أبا حيان يعتمد في أكثر نقول كتابه هذا - كما يقول - على كتاب التحرير والتجوير لأقوال أئمة التفسير ، من جمع شيخه الصالح المقدسى القدوة الأديب ، جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان بن حسن بن حسين المعروف بابن النقيب ، رحمه الله . إذ هو أكبر كتاب صنف في علم التفسير و نهاية القول ، فإن أبا حيان قد غلبت عليه في تفسيره الناحية التي برز فيها وبرع فيها وهي الناحية النحوية التي طغت على ما عداها من نواحي التفسير .

٦ - غرائب القرآن و رغائب الفرقان : للنيسابورى .

التعريف بهذا التفسير و طريقة مؤلفه فيه :

اختصر النيسابورى تفسيره هذا من التفسير الكبير للفخر الرازى ، وضم الى ذلك بعض ما جاء في الكشف وغيره من التفاسير ، و ما فتح الله به عليه من الفهم لمحكم كتابه ، وضمنه ما ثبت لديه من تفاسير سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين .

موقفه من الزمخشري والفخر الرازى :

وهو إذ يختصر كلام الفخر الرازى أو يقتبس من تفاسير الكشف وغيره لا يقف عند النص ووقوف من يحمده عند النصوص و يرى أنها ضربة لازب عليه فلا يعترض و لا يتصرف ، بل نجمده حرا في تفكيره ، متصرفا

فما يختصر أو يقتبس ، فان وجد فسادا به عليه وأصلحه ، وان رأى نقصانا تداركه فآتمه وأكمله .

كثيرا ما نجده ينقل عن الكشاف فيقول : قال في الكشاف كذا وكذا وقد ينقل ما ذكره صاحب الكشاف وما اعترض به عليه الفخر الرازي ثم ينصب نفسه حكما بين الامامين ، ويسدى رأيه على حسب ما يظهر له .

منهجه في التفسير :

ثم إننا نجد الامام النيسابوري ، قد سلك في تفسيره مسلكا قد يكون منفردا به من بين المفسرين ، ذلك أنه يذكر الآيات القرآنية أولا ثم يذكر القراءات ، مع التزامه ألا يذكر الا ما كان منها منسوبا إلى الأئمة العشرة ، وازافة كل قراءة إلى صاحبها الذي تنسب إليه ، ثم بعد ذلك يذكر الوقوف مع التعليل لكل وقف منها ثم بعد ذلك يشرح في التفسير مبتدئا في ذكر المناسبة وربط اللاحق بالسابق مع عناية كبيرة بذلك سرت إليه من التفسير الكبير للفخر الرازي ، ثم بعد ذلك يبين معاني الآيات بأسلوب بديع يشتمل على ابراز المقدرات و اظهار المضمرات وتاويل المتشابهات وتصريح الكنيات وتحقيق المجازات والاستعارات ، وتفصيل المذاهب الفقهية مع توجيه أدلة كل مذهب وما حملت عليه الآية القرآنية ، لتكون مؤيدة لمذهب من المذاهب أو غير متعارضة معه ولا منافية له .

خوضه في المسائل الكلامية :

خوضه في المسائل الكونية والفلسفية :

النزعة الصوفية في تفسير النيسابورى :

ليس في تفسير النيسابورى ما يدل على تشيعه ، هذا وقد نوه صاحب
روضات الجنات بمكانة هذا التفسير فقال : { و تفسيره يريد النيسابورى من
أحسن شروح كتاب الله المجيد وأجمعها للفوائد اللفظية والمعنوية ، وهو قريب
من تفسير مجمع البيان كما وكيفا وسمه وترتيا بزيادة أحكام الاوقات في
أوائل تفسير الآى ومراتب التأويل في آخره والاشارة الى جملة من دقائق
نكات العربية .

٧ - تفسير الجلالين :

لجلال الدين المحلى و جلال الدين السيوطى -

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

اشترك في هذا التفسير - كما قلنا - الامامان الجليلان ، جلال الدين
المحلى و جلال الدين السيوطى .

أما جلال الدين المحلى فقد ابتداء تفسيره من أول سورة الكهف الى
آخر سورة الناس ثم ابتداء بتفسير الفاتحة وبعد أن أتمها واقته المنية
فلم يفسر ما بعدها .

وأما جلال الدين السيوطى ، فقد جاء بعد الجلال المحلى فكل

تفسيره ، فابتدأ بتفسير سورة البقرة ، وانتهى عند آخر سورة الاسراء ووضع
تفسير الفاتحة في آخر تفسير الجلال المحلى لتكون ملحقة به .

هذا هو الواقع . ولا أظن صاحب كشف الظنون مصيبا حيث
يقول عند الكلام على تفسير الجلالين ما نصه [تفسير الجلالين من أوله إلى
آخر سورة الاسراء للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلى الشافعى المتوفى
سنة ٨٦٤ هـ ولما مات كمله الشيخ المتبحر جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر
السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ] وحيث يقول بعد ذلك بقليل وكان المحلى لم يفسر
الفاتحة وفسرها السيوطى تفسيراً مناسباً . انتهى .

٨ - السراج المنير

في الاعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير -

للخطيب الشرينى

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

ذكر مؤلف هذا الكتاب في مقدمته : أن أئمة السلف ألفوا في
التفسير كتباً كل على قدر فهمه ومبلغ علمه ، وأنه خطر له أن يقتنى أثرهم
ويسلك طريقهم ولكنه تردد في ذلك مدة من الزمن ، مخافة أن يدخل
تحت الوعيد الوارد في حق من فسر القرآن برأيه أو بغير علم ، ثم ذكر أنه
استخار الله تعالى في حضرته ، بعد أن صلى ركعتين في روضته وسأله
أن يشرح صدره لذلك وييسره له ، فشرح الله صدره ، ولما رجع من سفره

كتسم ذلك في سره ، حتى قال له شخص من أصحابه : أنه رأى في المنام النبي صلى الله عليه وسلم أو الشافعي يقول : قل لفلان يعمل تفسيرا على القرآن وذكر المؤلف أنه لم يمض عليه إلا القليل حتى قرر في وظيفة مشيخة تفسير في البيرستان وذكر أن جملة من أصحابه ممن لهم شغف بالعلم طلبوا منه بعد فراغه من شرح منهاج الطالبين ، أن يجعل لهم تفسيرا وسيطا بين الطول الممل والقصر المخل ، فأجابهم إلى ذلك ممثلا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، حيث قال فيما يرويه عنه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : [ان رجالا يأتونكم من أقطار الارض يتفقهون في الدين ، فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا] .

وذكر انه اقتصر فيه على أرجح الأقوال ، و اعراب ما يحتاج إليه عند السؤال ، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية وأعاريب محلها كتب العربية ، وذكر أن ما يذكره فيه من القراءات فهو من السبع المشهورات .
موقفه من القراءات و الاعاريب والحديث .

وقد وفي فيه صاحبه بما وعد فلم يذكر من القراءات الا ما تواتر

منها .

اهتمامه بالنكت التفسيرية ومشكلات القرآن :

عنايته بالمناسبات بين الآيات :

موقفه من المسائل الفقهية :

إنه يستطرد إلى ذكر الأحكام الفقهية ، ومذاهب العلماء وأدلتهم .
كثرة نقوله عن تفسير الفخر الرازي :

خوضه في الاسرائيليات :

هذا ولم يخل تفسير الخطيب ، من ذكر بعض القصص الاسرائيلي
وذلك بدون أن يتعقبه بالتصحيح أو التضعيف .

٩ - ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود
التعريف بهذا التفسير وطريقة مولفه فيه :

إن صاحب هذا التفسير شغل كثيرا بالتدريس والقضاء والفتوى
ولكنه اختلس فرصا من وقته ألف فيها كتابه في التفسير ، والمؤلف نفسه
يقرر هذا في مقدمة تفسيره ، ولم يعرف أنه أخرج تفسيره للناس دفعة
واحدة بل ذكر أنه ابتداء فيه فلما وصل إلى آخر سورة [ص] عرض له
من الشواغل ما جعله يتوقف في تفسيره عند هذا الحد فبيض ما كتب في
شعبان سنة ٧٣ هـ ثم أرسله الى الباب العالي ، فتلقاء السلطان خان بحسن
القبول ، وانعم عليه بما أنعم وزاد في وظيفته كل يوم خمسمائة درهم ثم
تيسر له بعد ذلك إتمامه ، فاتمه بعد سنة ، ثم أرسله إلى السلطان ثانيا بعد
إتمامه فقابل به السلطان بمزيد لطفه وإنعامه وزاد في وظيفته مرة أخرى .

والحق أن هذا التفسير غاية في بابه ، ونهاية في حسن الصوغ وجمال
التعبير كشف فيه صاحبه عن اسرار البلاغة القرآنية بما لم يسبقه أحد إليه

ومن أجل ذلك ذاعت شهرة هذا التفسير بين أهل العلم ، وشهد له كثير من العلماء بأنه خير ما كتب في التفسير .

ومن هنا يتبين لنا أن أبا السعود يعتمد في تفسيره على تفسير الكشاف والبيضاوي وغيرهما من تقدمه .

عنايته بالكشف عن بلاغة القرآن و سر إعجازه .

إهتمامه بالمناسبات و إلمامه ببعض القراءات .

إقتضائه من رواية الاسرائيليات .

إقتضائه من ذكر المسائل الفقهية .

تناوله لما تحتمله الآيات من وجوه الازراب .

وبالجملة فالكتاب بحق دقيق غاية الدقة ؛ بعيد عن خلط التفسير بما

لا يتصل به غير مسرف فيما يضطر إليه من التكلم عند بعض النواحي العلمية وهو مرجع مهم يعتمد عليه كثير من جاء بعد من المفسرين .

١٠ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للآلوسي

التعريف بهذا التفسير و طريقة مولفه فيه :

ذكر مولف هذا التفسير في مقدمته أنه منذ عهد الصغر ، لم يزل متطلبا

لاستكشاف سر كتاب الله المكتوم ، متربيا لارتشاف رحيقه المختوم ،

وأنه طالما فارق نومه لجمع شوارده ، و فارق قومه لوصال خرائده لا يرفل

في مطارف اللهو كما يرفل أقرانه ، و لا يهب نفائس الاوقات لحسائس

الشهوات كما يفعل اخوانه ، وبذلك وفقه الله للوقوف على حقائقه .

مكانة هذا التفسير من التفاسير التي تقدمته :

ان هذا التفسير - و الحق يقال - قد افرغ فيه مؤلفه وسعه وبذل مجهوده حتى اخرج به للناس كتابا جامعا لآراء السلف رواية ودراية مشتملا على أقوال الخلف بكل أمانة وعناية فهو جامع لخلاصة كل ما سبق من التفاسير .

موقف الآلوسی من المخالفين لأهل السنة :

و الآلوسی سلفی المذهب سنی العقيدة ، ولهذا نراه كثيرا ما يفند آراء المعتزلة والشيعة ، وغيرهم من أصحاب المذاهب المخالفة لمذهبه .

الآلوسی و المسائل الكونية :

وما نلاحظه على الآلوسی في تفسيره ؛ أنه يستطرد إلى الكلام في الأمور الكونية ويذكر كلام أهل الهيئة وأهل الحكمة ؛ ويقر منه ما يرضيه ، ويفند ما لا يرضيه .

كثرة استطراده للمسائل النحوية :

موقفه من المسائل الفقهية :

نجده إذا تكلم عن آيات الأحكام فإنه لا يمر عليها إلا إذا استوفى مذاهب الفقهاء وأدلتهم مع عدم تعصب منه لمذهب بعينه .

موقفه من الاسرائيليات :

و بما نلاحظه على الآلوسى أنه شديد النقد للاسرائيليات والأخبار
المكذوبة التي حشا بها كثير من المفسرين وظنوها صحيحة مع سخريه منها أحيانا.
تعرضه للقراءات والمناسبات وأسباب النزول :

إن الآلوسى يعرض لذكر القراءات ولكنه لا يتقيد بالتواتر منها كما
أنه يعنى بآظهار وجه المناسبات بين السور ، كما يعنى بذكر المناسبات بين
الآيات و بذكر أسباب النزول للآيات التي نزلت على سبب ، وهو كثير
الاستشهاد بأشعار العرب على ما يذهب إليه من المعانى اللغوية .

الآلوسى والتفسير الإشارى :

ولم يفت الآلوسى أن يتكلم عن التفسير الإشارى بعد أن يفرغ
من الكلام عن كل ما يتعلق بظاهر الآيات ، ومن هنا عد بعض العلماء
تفسيره هذا فى ضمن كتب التفسير الإشارى ، كما عد تفسير الديسابورى فى
ضمنها كذلك ولكنى رأيت أن أجعلها فى عداد كتب التفسير بالرأى المحمود ،
نظرا إلى أنه لم يكن مقصودهما الأهم هو التفسير الإشارى بل كان ذلك
تابعا - كما يبدو - لغيره من التفسير بالظاهر ، وهذه - كما قلت - من مسألة
اعتبارية لا أكثر ولا أقل وإنما أردت أن أبين جهتي الاعتبار .

وجملة القول ، فروح المعانى للآلوسى ليس الا موسوعة تفسيرية
قيمة . جمعت جل ما قاله علماء التفسير الذين تقدموا عليه مع النقد الحر
والترجيح الذى يعتمد على قوة الذهن وصفاء القريحة ، وهو وإن كان يستطرد

الى نواح عليية مختلفة مع توسع يكاد يخرججه عن مهمته كفسر إلا انه متزن
في كل ما يتكلم فيه بما يشهد له بغزارة العلم على اختلاف نواحيه وشمول
الاحاطة بكل ما يتكلم فيه فجاء الله عن العلم و أهله خير الجزاء ، إنه سميع
مجيب وبعد

فهذه هي أهم كتب التفسير بالرأى الجائز وهناك كتب أخرى تدخل
في هذا النوع من التفسير ولها أهميتها وقيمتها ، كما أن لها شهرتها الواسعة
بين أهل العلم الذين يعنون بالتفسير ، غير أنى أمسكت عنها هنا مخافة
التطويل ، ولعدم إمكان الحصول على بعضها وأحسب أن في هذا القدر
كفاية وغنى عن كتب أخرى كثيرة . هذا والله أعلى وأعلم بالصواب .

والحمد لله أولا وآخرا . وصلى الله وسلم وبارك على من لا نبي
بعده سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن بيان و معجزة فى آن واحد

اقتضت حكمة الله تبارك و تعالى : أن تكون معجزة الرسالة الخاتمة
أو الآية الدالة على صدق الرسول فى التبليغ عن ربه هى القرآن الذى جمع
بين البيان الواضح ، و الإعجاز القاطع لحجة العناد و الجحود ، و ذلك ليتبين
استمرار التبليغ بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستمرار وسائل الاقتناع
على مر الزمن .

و على هذا لم يكن دليل إعجاز القرآن الكريم قاصرا على الإعجاز
البياني كما كان فى عصر النزول - بل كان جامعا لعدد هائل من دلائل الإعجاز
بحيث يواجه كل العصور ، و جميع نواحي النشاط الانساني فى تفوق معجز .
يجذب الى دعوته المزيد من الاجيال .

أقول ان أئمة الكفر أنفسهم شعروا بسلطانه على القلوب - و هو
القدر المتاح لهم لادراك إعجازه البياني - فقالوا لاتباعهم : [لا تسمعوا لهذا
القرآن و الغوا فيه لعلكم تغلبون] .

وذلك خوفا من سريان الروح التى شعر بها الوليد بن المغيرة حين
قال : [إن له لخلابة و ان عليه لطلاوة و انه لمشر أعلاه مغدق أسفله

وإنه ليعلو ولا يعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته] .

و هو نفس الإعجاز الذى أدرك منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه
وجها يناسبه حينما سمع القرآن فى بيت أخته فتهاوى صرح الشرك من قلبه
وشمخ صرح الإيمان فى كيانه .

و من هذه الروعة التى تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم ، وتلك
الهيئة التى تعترهم عند تلاوته ، أسلم جماعة من كفار العرب عند سماعهم
آياته منهم جبير بن مطعم ، فانه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى
المغرب بالطور قال فلما بلغ قوله تعالى : [أم خلقوا من غير شئ أم هم
الخالقون] الى قوله [المسيطرون] كاد قلبى أن يطير ، وذلك أول ما قرأ
الاسلام فى قلبى .

إلى غير ذلك مما هو معلوم لنا فى تاريخ دعوة الاسلام .
لقد صحح القرآن كثيرا من النظريات العلمية التى كانت سائدة فى
عصر التنزيل وسجل فى مكان تلك النظريات حقائق ثابتة لا تقبل التبديل
ولا التغير ، فكان ذلك إلى جانب استعمال القرآن للحقائق الكونية فى
الدعوة الى الخالق الحكيم المبدع تحديا للعقل البشرى باحقاق الحق مكان
الباطل على يد رسول أمى ما كان يتلو كتابا ولا يخطه يمينه .

وصدق الله تعالى الذى تحدى العالم كله فى كل العصور فى معرض
الدلالة على وحدانيته وتفرد بالسلطان ، و ذلك حينما قرر قيام دولة الاسلام

على الأرض وعجز كل القوى العالمية عن أن تقضى على مجدها فقال : [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا] .

وقال : [إن الذين كفروا يتفقون أمواهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون] .

مؤامرات العالم على الاسلام وصموده شامخا أمام المؤامرات بل واتساع سلطانه على القلوب أعظم دليل وأصدق برهان على اتساع مدى الاعجاز القرآني إلى جانب إقناع البيان وتجاوز هذا الاعجاز نطاق البلاغة والفصاحة ، وتصحيح النظريات العلمية ، والتنبؤ بالمستقبل إلى نطاق السياسة والاجتماع والعلوم التجريبية كلها . أما والرسول العظيم يأبى أن تكون الشمس في يمينه والقمر في يساره إلا أن يظهر دين الله ، فالأمر إذن فوق جودة الأسلوب - وفوق كل الاعتبارات . وذلك هو : اذعان العرب عاجزين ، أو انقيادهم محتارين الى تلك العظمة القرآنية التي تفوق مقاييس العظمة الاسلوبية المتعارفة آنذاك وكانت ناقة صالح ، وعصا موسى وبقية آياته التسع ، وإحياء الموتى على يد عيسى عليهم السلام آيات مؤيدات لبيان اللسان وحجة العقل وتحديا لأهل العناد بأن قوة عظمى تحكم الكون غير قوة المادة .

كما تحدى موسى سحر قومه بعصاه وعيسى طب عصره بإحياء الموتى

وآمن الكثيرون حينما تأملوا وتدبروا وعابنوا المعجزة بالقلوب .

فالايجاز على أى حال هو - وسيلة إيمان ، ووسيلة ضلال - [يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين] .

من هنا كان وجه من وجوه عظمة القرآن هو أن يجمع بين اليان والاعجاز فلا تكون الآية الدالة على صدق الرسول منفصلة عن اليان كما كان ذلك فى رسالة موسى وعيسى عليهما السلام ، اذ كانت آية موسى التسع واحياء المسيح للوتى شيئا منفصلا تماما عن صلب التوراة والانجيل . أما القرآن فلما كان مصدقا للتوراة والانجيل ومبين عليهما ، وجامعا لحقائقهما ، فقد اجتمع فى صلبه البلاغ المبين والاعجاز القائم مدى الدهر ، وما ذاك الا لانه كتاب لم ينزل لهداية العرب خاصة وإنما نزل لهداية البشرية كلها فى عصر الرسول وبعد عصره وإلى أن تقوم الساعة . فلو انفصلت آية صدق الرسول عن نفس القرآن كما حدث فى الرسائل السابقة فمن الذى كان يأتى الناس بهذه الآية التى هى المعجزة بمعناها الاصطلاحي الآن ؟ يعنى أنه إذا ارتاب قوم فى صدق النبي صلى الله عليه وسلم فى عصرنا الحاضر فمن أين نأتى بالرسول ليطالبوه بمعجزة مادية تدل على صدقه ؟ ولهذا كان القرآن نفسه يانا ومعجزة فى آن واحد ولم تكن مادة إعجازه شيئا واحدا بحيث لا تلائم الا عصرا واحدا ، أو مجموعة من الاجيال بعينها بل كانت مواد إعجازه كامنة فى أطوائه ، وكلما تقدم المتكرون الجاحدون فى العلم المادى انكشف من وجوه إعجازه

وجه يجمع ضلالات الكفر ، ويهدى إليه الآلوف المؤلفة في كل عصر ، وهو ما نشهده الآن وقبل الآن وما تشهده الأجيال بعد الآن بأذن الله .

وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى في حديث أخرجه البخارى عنه قال : [ما من الأنبياء نبى الا أعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى اوتيته وحيا أوحاه الله إلى فارجو أن أكون أكثرهم تابعا] .

قال فى معناه : إن معجزات الأنبياء انقضت بانقراض أعصارهم ، فلم يشاهدوا إلا من حضرهم ، ومعجزة القرآن باقية الى يوم القيامة ، وخرقه للعادة فى أسلوبه وبلاغته واخباره بالمغيبات ثابت ، فلا يمر عصر من الأعصار الا ويظهر فيه شئ مما أخبر أنه سيكون ، يدل على صحة دعواه .

والمعجزات كانت حسية تشاهد بالابصار ، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصرة فيكون من يتبعه فيها أكثر ، فما يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهديه ، وما يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرا .
و من هنا كان استبطان القرآن للبيان و الإعجاز معا فى وقت واحد دليلا على صدقه وعالمية رسالته .

المراجع

- ١ - الاتقان في علوم القرآن
شيخ الاسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي
- ٢ - البرهان في علوم القرآن
للامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي
- ٣ - مباحث في علوم القرآن
الدكتور صبحي الصالح
- ٤ - مناهل العرفان في علوم القرآن
الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني
- ٥ - مناهج الجدل في القرآن الكريم
الدكتور زاهر عواض الالمى
- ٦ - الأحكام والنسخ في القرآن الكريم
الشيخ محمد حمزة
- ٧ - القراءات القرآنية
الدكتور عبد الهادي الفضلي
- ٨ - أسرار ترتيب القرآن
للمحافظ جلال الدين السيوطي
- ٩ - معاني القرآن
الامام أبو الحسن سعيد بن مسعدة البصري
- ١٠ - نظرات تحليلية في القصة القرآنية
الشيخ محمد المجذوب

- ١١- الاشارات العلية في القرآن الكريم
الشيخ محمد وفا الاميرى
- ١٢- الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه
لابى محمد مكى بن أبى طالب القيسى
للامام محمد بن الجزرى
- ١٣- النشر فى القراءات العشر
١٤- طيبة النشر فى القراءات العشر
للامام محمد بن الجزرى
- ١٥- حرز الامانى - المعروف بالشاطية
للامام أبى القاسم بن فيره الشاطبي
للشيخ على محمد الضباع
للشيخ عبد الفتاح القاضى
الشيخ صابر حسن محمد أبو سليمان
الشيخ محمد على الضباع
لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد
الدمياطى الشهير بالبناء
- ١٦- ارشاد المريد
- ١٧- البدور الزاهرة
- ١٨- أصول القراءات
- ١٩- لمحات فى علوم القرآن
- ٢٠- اتحاف فضلاء البشر

تابع قائمة المراجع

- | | |
|-----------------------------------|------------------------------|
| تحقيق الدكتور آرثر جفرى | ٢١ - مقدمتان فى علوم القرآن |
| العلامة شمس الدين محمد بن أبى بكر | ٢٢ - التبيان فى أقسام القرآن |
| المعروف بابن قيم الجوزية . | |
| الشيخ ابراهيم عبد الرزاق أبو على | ٢٣ - الجديد فى أحكام التجويد |
| عبد الكريم الخطيب | ٢٤ - اعجاز القرآن |
| للباقلانى | ٢٥ - اعجاز القرآن |
| محمد حسين الذهبى | ٢٦ - التفسير و المفسرون |
| منايع القطان | ٢٧ - مباحث فى علوم القرآن |
| لتناج القراء محمود بن حمزة بن نصر | ٢٨ - أسرار التكرار فى القرآن |
| الكرمانى . | |

شكر وتقدير

أما بعد !

فأني أتوجه باجزل الشكر الى - ادارة مدرسة ثانوية تحفيظ القرآن الكريم بالرياض حيث شجعني ومكنتني من المضي في هذا السيل .
كما أشكر كل من عاونني في هذا الكتاب برأيه ، أو بامدادى بالكتب أو بسعيه أو بقرائه و الاقبال عليه أو بتقديره وتشجيعي على المضي فيه .

و ارجو كل من يطلع عليه أن يلتمس لي العذر ان كنت قصرت ،
وأن يرشدني الى الصواب ان كنت اخطأت ، و يعلم الله انني - حاولت
جهد طاقتي في تبسيط الأسلوب ، و سبك اللفظ ، و جودة العبارة ، و وضوح
المعنى ، و حسن الاخراج ، و اعلى سددت أو قاربت ، و على كل حال فالعود
أحد ان شاء الله و أستغفر الله من كل خطيئة و زلل ، و أسأله أن يقابل
بالقبول ما وقفنا اليه من نافع العلم و صالح العمل ، و أن يصلح منا جميعا
الحال و المآل ، و أن يحقق للاسلام و المسلمين جميع الآمال .

و الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات و الصلاة و السلام على سيدنا
محمد و آله و صحبه و من تبعهم باحسان الى يوم الدين و سلام على المرسلين ،
و الحمد لله رب العالمين ؟

(خاتمة)

وهذا آخر ما يسره الله تبارك وتعالى من جمع كتابنا هذا المسمى [بمورد الظمآن] في علوم القرآن - والله أسأل أن يعم به النفع وأن يتقبله منى عملا خالصا لوجهه الكريم ، وأن يكون حجة لى يوم القيامة وكفة راجحة فى - ميزان أعمالى - يوم يقوم الناس لرب العالمين انه - على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، وهو حسبى ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

وكان الفراغ من تأليفه يوم الاثنين ليلة الثلاثاء الموافق ١٧ من شهر ربيع الثانى سنة ١٤٠٣ هـ من الهجرة النبوية .

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وصلى الله وسلم وبارك على من لا نرى بعده سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المؤلف :

صابر حسن محمد أبو سليمان

مدرس علوم القرآن

بثانوية تحفيظ القرآن الكريم

بالرياض .

(فهرس السكتاب)

الصفحة	الآبواب
٣	١ - كلمة الناشر
٥	٢ - مقدمة المؤلف
٦	٣ - علوم القرآن
٩	٤ - الوحي تعريفه أنواعه طرقة
١٨	٥ - معرفة المكي والمدني
٢٨	٦ - أسباب النزول
٤١	٧ - الاحرف السبعة
٥٤	٨ - المحكم والمتشابه
٦٣	٩ - العام والخاص
٧٣	١٠ - الناسخ والمنسوخ
٨٦	١١ - المطلق والمقيد
٨٩	١٢ - المنطوق والمفهوم
٩٧	١٣ - اعجاز القرآن
١١٠	١٤ - قصص القرآن

فهرس الكتاب

الصفحة

الآبواب

١١٦

١٥ - امثال القرآن

١٣١

١٦ - علم الرسم القرآنى

١٨٠

١٧ - التفسير و التاويل و الفرق بينهما

١٨٩

١٨ - شروط المفسر و آدابه

١٩٤

١٩ - آداب المفسر

١٩٧

٢٠ - نشأة علم التفسير

٢٠٧

٢١ - التفسير بالمأثور

٢١١

٢٢ - مناهج المفسرين بالمأثور

٢١٥

٢٣ - التعريف باهم كتب المفسرين بالمأثور

٢١٦

٢٤ - التعريف باهم كتب المفسرين بالرأى الجائز

٢١٧

٢٥ - مناهج المفسرين بالرأى الجائز

٢٣٤

٢٦ - القرآن بيان و معجزة فى آن واحد

٢٣٩

٢٧ - المراجع

٢٤٢

٢٨ - شكر و تقدير

٢٤٣

٢٩ - خاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

من منشورات

مكتبة ابن تيمية الخيرية للتوعية الإسلامية

هذه آيات لآبراهم بن الأدهم رحمه الله في الحث على قيام الليل قال :

قم الليل يا هذا لعلك ترشد	الى كم تنام الليل والعمر ينفد
أراك بطول الليل ويحك نأما	وغيرك في محرابه يتهدد
أترقد يا مغرور والنار توقد	فلا حرما يطفى ولا الجمر يخذ
ألا إنها نار يقال لها لظى	فظلم أحيانا وحيثا توقد
فأراك العريان ويحك خلها	ستحشر عطشانا ووجهك أسود
ولو علم البطل ما نال زاهد	من الأجر والاحسان ما كان يرقد
فصام وقام الليل والناس نوم	ويخلو رب واحد يتعبد
بعزم وحزم واجتهاد ورغبة	ويعلم ان الله ذو العرش يعبد
فلو كانت الدنيا تدوم لأهلها	لكان رسول الله حيا يخلد
فكم بين مشغول بطاعة ربه	وآخر بالذنب الثقيل مقيد
فهذا سعيد في الجنان منعم	وذاك شقي في الجحيم مخذ
كأنى بنفسى في القيامة واقف	وقد فاض دمعى والمفاصل ترعد
وقد نصب الميزان للفصل والقضا	وقد قام خير العالمين محمد
الى الله يرجو لطفه تحت عرشه	بكل دعاء صالح وهو ساجد
ليشفع عند الله في أمل موقف	توات على العاصين فيه الشدائد
فصل الهى كل يوم وليلة	على أحمد المختار ماحن راعد
مع الآل والأصحاب ما قال قائل	قم الليل يا هذا لعلك ترشد